

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللقاء الأول في التعليق على باب: (مَنْ يَسْتَحِقَّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ)، مِنْ كِتَاب: (جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ)؛ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، تَعْلِيْقُ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْمُدْرِسِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ: أَبِي أَنَسٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ، وَخَلِيلُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخَيْرُهُ مَنْ خَلَقَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَتَّبَعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَحَيَّاكُمُ اللَّهُ _مَعَشَرَ الْإِخْوَانِ_ فِي هَذَا الْلِقَاءِ، الَّذِي نَسَأُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْعَالَمَ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ أَنْ يَجْعَلَ الْأَعْمَالَ وَالْأَقْوَالَ وَالنِّيَّاتِ خَالِصَةً لَوَجْهِهِ.

وَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَدْعُو اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا نَقُولُهُ صَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ تَقْصِدَ بِهِ نَفْعَ أَنْفُسِنَا أَوَّلًا، وَإِخْوَانِنَا ثَانِيًا، وَالنَّصِيحَةَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ ثَالِثًا.

أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكُمْ الْإِخْلَاصَ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَعِدْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ؛ هَذَا السُّؤَالُ الَّذِي جَاءَ، الْبَارِحَةَ جَاءَنَا، وَجَرْنَا إِلَى أَنْ نَقْرَأَ فِي هَذَا الْبَابِ، أَوَّلًا: هَذَا الْبَابُ لَيْسَ بِغَرِيبٍ، وَثَانِيًا: هُوَ مَتَنَاتِرٌ، وَيَمُرُّ عَلَيْنَا كَثِيرًا، أَقَاوِيلُ الْعُلَمَاءِ فِيهِ مَتَنَاتِرَةٌ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ، فِي أَدَبِ الطَّلَبِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

ولَكنْ هنا في هذا الكِتَابِ؛ لِأَنَّ الكِتَابَ خَاصٌّ بما يَنبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِهِ حَامِلُ العِلْمِ وَنَاقِلُ العِلْمِ
وطلَّابُ العِلْمِ ومُسْتَمِعُ العِلْمِ، فهو مُتَخَصِّصٌ في هذا الباب، ثم إِنَّهُ عَقَدَ تَرْجَمَةً صَرِيحَةً هي الجوابُ لِسُؤالِ
الْبَارِحَةِ الذي وَرَدَ عَلَيْنَا.

فالكلماتُ (كَمَا قُلْتُ) والآثَارُ والأَخْبَارُ الوَارِدَةُ في هذا كثيرٌ، لكنَّهُ جَعَلَ لها عنوانًا مُلَفَّتًا بَارِزًا
يَشِدُّ الأَسْمَاعَ وَالْأَذْهَانَ عِنْدَ السَّامِعِ.

فَلَمَّا كانَ كَذَلِكَ؛ أَحَبَبْنَا أَنْ نَقْرَأَهُ لِلتَّذْكِيرِ، وَإِلَّا (فَكَمَا قُلْتُ) العِبَارَاتُ متناثرةٌ في جميعِ كُتُبِ آدابِ
الطَّلَبِ، لكنْ لَمَّا جَمَعَهَا هنا تَحْتَ بابٍ، مَا جَمَعَهَا وَاسْتَقْصَاهَا، لَكِنْ لَمَّا جَعَلَ لها بابًا مُسْتَقِلًّا، وَتَرَجَمَ له
ترجمةً مُسْتَقِلَّةً صَرِيحَةً مُلَفَّتَةً لِلنَّظَرِ؛ أَحَبَبْنَا أَنْ نُذَكِّرَ بها، وإلا فهذا الموضوعُ لو جُمِعَ فيه؛ لَجَاءَ مُجِيلِيْدُ
مُسْتَقِلٌّ في هذا البابِ.

فَنَحْنُ نَقْرُؤُهُ وهو يَدُلُّنا على الباقي، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا الإِخْلَاصَ فِي القَوْلِ وَالْعَمَلِ (كَمَا
قُلْتُ فِي أَوَّلِ الحَدِيثِ)، نَعَمْ.

[القارئ]: الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ،
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَوَالِدَيْنَا وَالسَّامِعِينَ، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَبْدِالبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَفَرَ اللهُ لَهُ فِي كِتَابِهِ
"جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وَفَضْلِهِ":

[المُتَن]: بَابُ: مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيْهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا.

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، أَوَّلًا نَبْدَأُ بهذا (بَابُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيْهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا):
يَعْنِي: مَنْ هُوَ الذي يَصِحُّ أَنْ تُطْلَقَ عَلَيْهِ هَذَا الوُصْفُ، أَنْ نَقُولَ عَنْهُ: (فَقِيْهٌ)، وَمَنْ الذي يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ عَنْهُ
أَنَّهُ: (عَالِمٌ).

والمراد بـ(العالم) و(الفقيه): الذي توافرت فيه الصفات التي لأجلها تأهل واستحق أن يطلق عليه هذا الوصف.

(حَقِيقَةً): يعني: اتَّصَفَ بذلك حَقِيقَةً، فَأَخْرَجَ الْمُبَالَغَةَ فِي: أَنْ يُنْفَخَ الصَّغِيرُ، وَأَنْ يُعَظَّمَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْوَضِيعُ، وَأَنْ يُسَوَّدَ الْجَاهِلُ، بَابُ الْمَجَازِ كَبِيرٌ وَاسِعٌ، قُلْ فِيهِ مَا شِئْتَ، وَالتَّسَاهُلُ فِي هَذَا الْبَابِ يَرُدُّ.

والحقيقة يكتشفها الناس عندما يتصدَّر ذلكم المتكلِّم للتدريس والإفتاء، فيظهر العالم الحقيقي، ويظهر الفقيه الحقيقي من الدَّعيِّ، أو المُدَّعي له.

فهذا هو المراد (حَقِيقَةً)؛ يعني: واقِعُهُ يُصَدِّقُ قَوْلَ النَّاسِ فِيهِ إِنَّهُ: (عَالِمٌ)، وَإِنَّهُ: (فَقِيهٌ)، يُصَدِّقُ قَوْلَ النَّاسِ فِيهِ إِنَّهُ: (عَالِمٌ) و(فَقِيهٌ)، فَحِينَئِذَا قَلْبَتْهُ وَقَلَبَتْ عِلْمُهُ؛ وَجَدْتُهُ، فَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ وَالْفَقِيهُ الْحَقِيقِيُّ.

أما الذي يُدَّعى له ذلك ويُنفَخُ بما ليس فيه؛ فهذا يَنكَشِفُ حالُهُ إِذَا مَا وَرَدَتْ وَاصْطَكَّتْ الْمَجَامِعُ عَلَيْهِ وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ السُّؤَالَاتُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا؛ ظَهَرَتْ حَقِيقَتُهُ، وَيُعْلَمُ أَنَّه حِينَئِذٍ لَيْسَ كَمَا قِيلَ، نَعَمْ.

[القارئ]: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[المتن]: وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ.

[التعليق]: مَنْ الَّذِي يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؟ هُوَ الْعَالِمُ وَالْفَقِيهُ الْحَقِيقِيُّ، الَّذِي يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ هُوَ الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ وَالْفَقِيهُ الْحَقِيقِيُّ.

فَيُخْرِجُ بِذَلِكَ مَنْ وُصِفَ بِهَذَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إِذَا فَقَهُوا فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَعْلَمَ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى إِسْتِهِ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ أَوْ نَحْوَهُ.

قَالَ أَبُو يُوسُفَ: وَهَذِهِ صِفَةُ الْفُقَهَاءِ^(١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: تَدْرِي أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ، الْحُبُّ فِيهِ، وَالْبُغْضُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُ عَمَلًا إِذَا فَقَهُوا فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَعْلَمَ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: "أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا" مَكَانَ: "أَفْضَلُهُمْ عِلْمًا"، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى إِسْتِهِ.

^١ _ في الأصل: قال الشيخ حفظه الله هنا: "الله أكبر".

[التعليق]: الحمد لله ، هذه الطرق المتنوعة المتعددة إلى عبدالله بن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه كما سمعتم ، وهي جميعها لا تخلو من مقال ، ولكن في جملة منها أو جملة صحيحة ، ومعناها _ وإن لم يثبت هنا النقل _ صحيح.

فأما أن العلم _ كما سمعنا _ (وأفضل الناس علماً إذا فقهوا في دينهم) ، (أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم): فقد جاء فيه: (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام _ إذا...؟ _ إذا فقهوا).

فالفقه في دين الله يفضل به العبد على غيره ، ويزيد به درجة وتبلاً على من ليس كذلك ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" ؛ فهو مثل: (خيارهم إذا فقهوا) تماماً.

وأما قوله: "تدري أي عرى الإسلام أوثق؟": فقد جاء من طرق أخرى ومن وجوه أخرى: (فأوثق عرى الإسلام والإيمان الحب في الله والبغض في الله) ؛ وهذا حديث حسن ، في المسند وغيره ، وإن كانت الطريق هنا التي ساقها ابن عبد البر ضعيفة ، وبعضها ضعيفة جداً ، إلا أنه وإن ضعفت هذه الجملة في هذا الإسناد ؛ قد ثبتت بإسناد آخر.

فأفضل الناس منزلة هم من من الله جلّ وعلاً عليهم بالفقه في دين الله ، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" ، وقوله عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيراً...؟" ؛ فهذا الخير الذي ينزل عليه بسبب الفقه يكون به أيضاً هو من خيار عباد الله تبارك وتعالى.

وليُعلم أن الفقه هو معرفة الهدى بدليله ، ومعرفة الحق بدليله ، فهذا هو الفقه في دين الله ، لا الرأي (كما سيأتينا إن شاء الله تعالى بعد قليل).

فَالْمَعْرِفَةُ بِالْأَحْكَامِ وَبِدَلَالِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَآثَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ؛ هَذَا هُوَ الْفَقْهُ، أَمَّا الرَّأْيُ فَلَيْسَ بِفَقْهِ، وَلِذَلِكَ تَعْلَمُونَ جَمِيعًا الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةَ الْمُنْسُوبَةَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

دَيْنُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ آثَارُ ... نِعَمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْأَخْبَارُ

لَا تُخْذَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ

وَلَرُبَّمَا جَهَلَ الْفَتَى طُرُقَ الْهُدَى ... وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْفَقْهِ؟ فَقَالَ: وَهَلِ الْفَقْهُ إِلَّا الْحَدِيثُ؟!

فَالْفَقْهُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلَالِهِ، مَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، وَهَذَا هُوَ الْفَقْهُ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى صَاحِبُهُ "عَالِمًا"، وَأَنْ يُسَمَّى صَاحِبُهُ "فَقِيهًا"، فَإِذَا عَلِمَ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ؛ هَذَا هُوَ الْعَالِمُ، إِذَا جَاءَ بِالْمَسَائِلِ وَأَدْلَتِهَا؛ هَذَا هُوَ الْفَقِيهُ، وَيَسْتَنْبِطُ مِنْهَا؛ هَذَا هُوَ الْفَقِيهُ، فَعِنْدَكَ الْفَقْهُ (بَابُ)، وَمَعْرِفَةُ الْخِلَافِ أَيْضًا (بَابُ آخَرُ).

عِنْدَنَا بَابَانِ هُنَا: بَابُ الْفَقْهِ: أَنْ تَفْقَهَ الْهُدَى مِنْ دَلِيلِهِ، تَعْرِفُ الْحُكْمَ بِدَلِيلِهِ.

وَأَنْ تَكُونَ عَلَى اطِّلَاعٍ بِاخْتِلَافِ أَيْمَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ هَذَا بَابُ آخَرُ، كَانَ يُمدَحُ بِهِ الْعَالِمُ وَيَنْبَلُ عِنْدَ النَّاسِ وَيَرْتَفِعُ قَدْرُهُ.

بَلْ بَعْضُهُمْ لَا يَرَاهُ عَالِمًا حَتَّى يَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ، فَيَمْدَحُونَهُ بِقَوْلِهِمْ: "كَانَ فَقِيهًا وَبَصِيرًا بِالْخِلَافِ"، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى تَجِدُونَهَا فِي كُتُبِ الْعِلْمِ فِي الْمَدْحِ، يَقُولُونَ: "كَانَ رَأْسًا فِي الْفَقْهِ، رَأْسًا فِي

مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ"، فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ، أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْتَى يُفْتَى عَنْ عِلْمٍ؛ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا:
خِلَافٌ، لَكِنِ الرَّاجِحُ كَذَا، فِيهَا: قَوْلَانِ، فِيهَا: ثَلَاثَةٌ، فِيهَا: أَرْبَعَةٌ... هَذَا هُوَ الْفَقِيهُ، هَذَا هُوَ الْعَالِمُ.

مَا هُوَ مِثْلُ الْآنَ أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ عَلَامَةٍ (الَّتِي هِيَ الْمُبَالَغَةُ) تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ !! !

كَمَا قُلْتُ قَدِيمًا: أَصْبَحَتْ ثُبَاعٌ فِي سُوقِ أَبُو رِيَالَيْنِ، كُلُّ أَحَدٍ يُقَالُ عَنْهُ: "عَلَامَةٌ" لِلْأَسَفِ، لِلْأَسَفِ.

فِيَا _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ هَذَا هُوَ الْفَقَهُ، وَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ؛ فَإِنَّ يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا بِالْأَدِلَّةِ وَعَارِفًا
بِالْخِلَافِ هَذَا هُوَ الْعَالِمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ.

كَمْ...؟ مَسْأَلَتَانِ، يُسْتَفْتَى، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ، يُحَالُ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَيَجْلِسُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ عَلَيْهِ بَيْنَ
يَدَيْهِ.

هَذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى، وَيُحَالَ عَلَيْهِ، وَيُرْجَعَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْرُسَ إِلَيْهِ، وَيَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ،
فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَهْلُونَ لِهَذَا الْبَابِ.

وَأَمَّا أَنْ يُجْلَسَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ !! ! فَهَذِهِ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا النَّاسُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَنَسَأُ اللَّهَ
جَلَّ وَعَلَا اللَّطْفَ.

وَالْتَقْصِيرُ يَرُدُّ، التَّقْصِيرُ وَارِدٌ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَيَقْصُرُ.

لَكِنْ مَعَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ أَوْ الصَّادِرِ إِذَا صَدَرَ مِنَ الْعَالِمِ (إِذَا تَصَوَّرْنَا ذَلِكَ)؛ تَقْصِيرُهُ هَذَا الَّذِي حَصَلَ
مِنْ قَبْلِهِ فِي الْعَمَلِ يُعْطِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْعُهُ الْمُتَعَدِّي الْعَامُّ الَّذِي نَفَعَ بِهِ النَّاسَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ^(٢) الْعِبَادَةَ الَّتِي نَفَعَهَا مُتَعَدٌّ أَعْظَمُ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي نَفَعَهَا قَاصِرٌ عَلَى الْعَابِدِ نَفْسِهِ، وَلِهَذَا شَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالَمَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَشَبَّهَ الْعَابِدَ الْعَامِلَ بِالْكَوْكَبِ، فَفَضْلُ الْقَمَرِ عَلَى الْكَوْكَبِ ظَاهِرٌ وَلَا لَأْ؟! وَاضِحٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ.

فَالْعَابِدُ عَمَلُهُ جَلِيلٌ، لَكِنَّ نَفْعَهُ خَاصٌّ بِهِ، مُقْتَصِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ خَاصًّا بِهِ كَانَ قَلِيلَ النَّفْعِ لِلْغَيْرِ، نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ، فَهُوَ كَضَوْءِ الْكَوْكَبِ فِي مُحِيطِهِ، يُضِيءُ لِنَفْسِهِ، فَهَذَا نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ.

أَمَّا الْعَالَمُ فَنَفْعُهُ لِلنَّاسِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ عُمُومًا، فَشَبَّهَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَمَرِ فِي أَجْمَلِ أَحْوَالِهِ وَمَرَاحِلِهِ (لَيْلَةَ الْبَدْرِ) أَكْمَلَ مَرَاحِلِهِ جَمَالًا، وَأَعْظَمَهَا نَفْعًا، إِضَاءَةً لِلنَّاسِ، فَاكْتَمَلَ نَفْعُهُ لِنَفْسِهِ، وَاكْتَمَلَ نَفْعُهُ لِغَيْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ.

فَهُوَ وَإِنْ حَصَلَ تَقْصِيرٌ مِنْهُ فِي جَانِبٍ، لَكِنَّ الْجَانِبَ الْآخَرَ _بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ يَجْبُرُهُ، وَهُوَ عُمُومُ انْتِفَاعِ النَّاسِ بِعِلْمِهِ، وَخَيْرِهِ، وَفَضْلِهِ الَّذِي يُسَدِّدُهُ إِلَيْهِمْ، فَتَأْتِيهِ الْأَجُورُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَكْثَرُ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اللَّطْفَ وَالْمُسَامَحَةَ.

وَسَفَيَانُ (كَمَا قُلْنَا لَكُمْ بِالْأَمْسِ) التَّوْرِيُّ يَقُولُ:

خُذْ مِنْ عُلُومِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمَلِي^(٣) ... يَنْفَعُكَ عِلْمِي^(٤) وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

^٢ _ هنا في الأصل: "النَّفْع".

^٣ _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مبيناً: "أَنْتَ مَا تَدْرِي مَا هِيَ الْأَسْبَابُ عِنْدِي؟".

^٤ _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مبيناً: "الَّذِي أَعْلَمَكَ بِهِ".

تَقْصِيرِي عَلَيَّ، وَأَنْتَ تَنْتَفِعُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أَعْلَمُكَ بِهِ، وَأَنَا أَيْضًا سَأَنْتَفِعُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (صَاحِبُنَا هُنَا) قَالَ: "هَذَا أَعْظَمُ حَدِيثٍ لِلْمُعَلِّمِينَ"؛ هَذَا الْحَدِيثُ أَعْظَمُ حَدِيثٍ لِلْمُعَلِّمِينَ، كَيْفَ؟ كَمْ مِنَ النَّاسِ يَهْتَدِي عَلَى أَيْدِيهِمْ؟! فَيَأْتُونَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْمَعْرِفَةُ.

[التَّعْلِيلُ]: أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْمَعْرِفَةُ، وَهَذَا أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى الْفَقِيهَةُ، نَعَمْ؛ لِأَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ لَهُ زَوْجَانِ: الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى، فَهَذِهِ الصُّغْرَى، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ _وَاللَّهُ أَعْلَمُ_ (٥):

خَيْرُنَا أَفْضَلُنَا مَعْرِفَةً ... وَإِذَا مَا عَرَفَ اللَّهُ عَبْدَ

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، الْعِلْمُ إِنَّمَا هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْعِلْمُ هُوَ الْخَشْيَةُ (وَكَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَنَا)، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ مَعَشَرِ الْأَحِبَّةِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} (٦) هَذِهِ الثَّمَرَةُ، بِسَبَبِ مَاذَا؟ بِسَبَبِ الْعِلْمِ {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}؟! الْجَوَابُ: لَا {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

^٥ _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "وَهِيَ فَقِيهَةٌ عَالِمَةٌ رَحِمَهَا اللَّهُ، هُجِيْمَةُ، بَعْكَسِ الْكُبْرَى، نَعَمْ".

^٦ _ الزمر (٩).

فَلَمَّا كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ عَارِفًا بِاللَّهِ كَانَ أَخَوْفَ مِنَ اللَّهِ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ} : قَائِمٌ يُصَلِّي ؛ {وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} ^(٧) ، فَالْقُنُوتُ هُنَا الْقِيَامُ.

سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: "أَطْوَلُهَا قُنُوتًا"؛ أَيُّ: قِيَامًا، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} ، فَالْقُنُوتُ هُنَا الْقِيَامُ (طُولُ الْقِيَامِ).

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}؟! الْجَوَابُ: لَا، {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

فهؤلاء لَمَّا عَرَفُوا رَبَّهُمْ جَلَّ وَعَلَا بِالْعِلْمِ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ كَانُوا أَعْرَفَ الْخَلْقِ، فَكَانُوا أَخْشَى الْخَلْقِ لَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(٨) فَقَصَرَ الْخَشْيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، غَيْرَهُمْ يَخْشَاهُ، وَلَكِنْ الْخَشْيَةُ الْكَامِلَةُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلَمَّا كَانُوا أَعْلَمَ بِاللَّهِ كَانُوا مِنْهُ أَخَوْفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نَعَمْ.

[الْمَثْنُ]: وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ^(٩) ،
قال: "إِلَّا لِيَعْرِفُونِ".

[التَّعْلِيلُ]: (إِلَّا لِيَعْرِفُونِ)؛ يَعْنِي: يَعْرِفُونَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ خَالِقُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا.

وهذه الْمَعْرِفَةُ تُورِثُهُمْ أَيْش؟ تُورِثُهُمُ الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَإِنَّ مَنْ عِلِمَ وَعَرَفَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ الْحَمِيدَةِ قَامَ بِحَقِّهِ الَّذِي

^٧ _ البقرة (٢٣٨).

^٨ _ فاطر (٢٨).

^٩ _ الذاريات (٥٦).

يَجِبُ عَلَيْهِ؛ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ، {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (١٠)؟
الجواب: لا.

فإذا المراد (ليعرفون): أي: ليعرفوه سبحانه وتعالى برؤوبيته، وأسمائه، وصفاته، وجميل أفعاله سبحانه وتعالى، فيفردوه حينئذ بالعبادة؛ لأنهم إذا عرفوا ذلك عرفوا أن هذا الخالق هو المستحق للعبادة، فهذه المعرفة التي عناها هؤلاء السلف رحمهم الله تعالى، نعم.

[المنن]: وقال ابن جريج رحمه الله: "إِذَا لِيَعْلَمُوا مَا جَبَلْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ".

[التعليق]: من الشقوة والسعادة، من الشقوة والسعادة، يعني: يعرفون أقدار الله تبارك وتعالى؛ لأن هذا من الإيمان، فإن الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، كما سأل الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا؛ فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا؟ قال: لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، فإن كان من أهل السعادة فهو من أهل السعادة، وإن كان من أهل الشقوة فسييسر للشقوة، نسأل الله العافية والسلامة، ثم قرأ قول الله جل وعزَّ صلى الله عليه وسلم: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْعُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْعُسْرَى} (١١) خرجه أبو داود في السنن من رواية ابن داسه.

والشاهد: أن هذا المراد به المعرفة بقدر الله تبارك وتعالى الذي قدره وكتبه سبحانه وتعالى على العباد، ويعلمون أن ذلك كله من الله جل وعلا كما قال سبحانه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (١٢)، {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٣).

^{١٠} _ الزمر (٩).

^{١١} _ الليل (٥-١٠).

^{١٢} _ القمر (٤٩).

^{١٣} _ الأنعام (٣٩).

وَلَكِنْ هُوَ السَّبَبُ أَيْضًا فِي هَذَا؛ {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} ^(١٤)، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ^(١٥)، {ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} ^(١٦)... إلى آخره.

فما أصاب العبد في هذا الباب فهو مُقدَّرٌ عليه، ومكتوبٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والعبد له مَشِيئَةٌ وَقُدْرَةٌ وَاخْتِيَارٌ، نَعَمْ.

[الْمَثْنُ]: وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: "مَا أَزْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا إِلَّا أَزَادَ النَّاسُ مِنْهُ قُرْبًا".

[التَّعْلِيلُ]: اللهُ أَكْبَرُ! (مَا أَزْدَادَ عَبْدٌ بِاللهِ عِلْمًا): مَعْرِفَةُ اللهِ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ، فِي أَخْلَاقِهِ، فِي سُلُوكِهِ، فِي صِدْقِهِ، فِي مُعَامَلَتِهِ، فِي لُطْفِهِ بِالنَّاسِ، فِي شِدَّتِهِ مَتَى تَكُونُ الشَّدَّةُ، فِي تَعْلِيمِهِ لَهُمْ، فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، يَنْطَلِقُ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَرُسُولِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ؛ مَرَّ بِجَنَازَتَيْنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّخَذُوا عَلَى الْأُولَى خَيْرًا؛ قَالَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ اتَّخَذُوا عَلَى الثَّانِيَةِ شَرًّا؛ قَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالُوا: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: الْأُولَى اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتُ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ، وَالثَّانِيَةُ اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ: وَجَبَتْ؛ يَعْنِي: وَجَبَتْ لَهَا النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.

فَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، لَكِنَّهُمْ فِي ذَاكَ الْيَوْمِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْأُولَى: وَجَبَتْ، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَجَبَتْ.

^{١٤} _ الصف (٥).

^{١٥} _ محمد (١٧).

^{١٦} _ التوبة (١٢٧).

الآن يَبْقَى عِنْدَنَا إِطْبَاقُ النَّاسِ وَتَنَاوُهُمْ بِالْخَيْرِ عَلَى عَالِمٍ مُعَيَّنٍ أَوْ عَلَى رَجُلٍ مُعَيَّنٍ؛ نَقُولُ: هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْخَيْرِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ مَا يُطَبِّقُونَ عَلَى بَاطِلٍ، النَّاسُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَإِذَا شَهِدُوا لِلْإِنْسَانِ وَأَطَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا يُرْجَى لَهُ الْخَيْرُ، نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ.

وَإِذَا أَطَبَقُوا عَلَى الْعَكْسِ، عَلَى الْأَمْرِ الْآخِرِ، وَأَتَنَوْنَا عَلَيْهِ شَرًّا عِبَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ؛ فَالنَّاسُ يَنْفَرُونَ مِنْهُ، وَالنَّاسُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ يَعْرِفُونَ وَيَرَوْنَ، وَلَهُمْ عُقُولٌ؛ فَإِذَا رَأَوْا صِدْقَ هَذَا الْإِنْسَانِ، وَصِدْقَهُ أَنْ يُصَدِّقَ قَوْلَهُ بِعَمَلِهِ، فَالْأَعْمَالُ هِيَ الَّتِي تُصَدِّقُ الدَّعَاوَى أَوْ تُكَذِّبُهَا، فَإِذَا رَأَوْا تَصَدِّيقَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ لِلْقَوَالِ أَزْدَادُوا مِنْهُ قُرْبًا، وَإِذَا رَأَوْا خِلَافَ ذَلِكَ أَزْدَادُوا مِنْهُ بُعْدًا وَعَلِمُوا أَنَّهُ دَعِيٌّ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَا أَزْدَادَ عَبْدٌ بِاللَّهِ عِلْمًا إِلَّا أَزْدَادَ النَّاسُ مِنْهُ قُرْبًا، فَهَوْلَاءِ إِذَا قُمْتَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْبَبُوكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ النَّاسُ".

فَأَحْيَانًا قَدْ لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ مِنْكَ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ الَّذِي يُرِيدُهُ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُكَ أَنْ تُعَامِلَهُ عَلَى مَا يَهْوَى، وَأَنْتَ لَا تُعَامِلُهُ عَلَى مَا يَهْوَى، تُعَامِلُهُ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، فِي هَذَا النَّفْعِ لَهُ، وَالنَّفْعِ لَكَ، فَإِذَا غَضِبَ الْيَوْمَ سَيَرْضَى عَنْكَ غَدًا.

فَوَاللَّهِ وَبِاللَّهِ وَتَاللَّهِ إِنَّا لَمُوقِنُونَ بِهَذَا تَمَامَ الْيَقِينِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَزِيدَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَمَنْ عَامَلَ اللَّهَ فِي الْخَفَاءِ أَظْهَرَ اللَّهُ صِدْقَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْجَلَاءِ، فَاتَّقِ اللَّهَ أَيُّهَا الْعَبْدُ فِي سِرِّكَ يُظْهِرُهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى عِلَانِيَّتِكَ بَيْنَ النَّاسِ.

فَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، فَوَاللَّهِ مَا نَظَرَ الْعَبْدُ إِلَى خَالِقِهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَإِنْ مَاتَ وَحِيدًا، انْظُرُوا إِلَى الْبَرَبَهَارِيِّ كَيْفَ حَالُهُ؟ وَكَمْ يُذَكَّرُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ؟ وَمَاتَ مُتَخَفِيًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى!!! اضْطَهَدَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ.

شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَظْهَرَ وَأَظْهَرَ؛ كَمْ أُؤْذِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ؟! مَاتَ مَحْبُوسًا مَسْجُونًا فِي الْقَلْعَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَمْ أَظْهَرَ اللَّهُ مِنْ عُلُومِهِ وَفَضْلِهِ وَجَلَّالَتِهِ وَنُبْلَاهُ؟! الشَّيْءُ الْعَظِيمُ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يَذُمَّ لَشَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذُمَّهُ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ، يَشْهَدُ لَهُ، شَهِدَ لَهُ أَعْدَاؤُهُ.

فِيَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، هَذَا بَابٌ عَظِيمٌ، مَا أَزْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ عِلْمًا؛ فَرَأَقَبَ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ، إِلَّا أَزْدَادَ النَّاسِ مِنْهُ قُرْبًا وَلَوْ غَضِبُوا عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، أَوْ حَمَلُوا عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، لَكِنْ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُظْهَرَ الْحَقُّ، وَيُعْلِيَهُ، وَيُخْزِيَ الْبَاطِلَ، وَيُرْدِيَهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهِذَا الْبَيْتِ:

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَمٌ مِنْ ثَقَى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا يَدُلُّنَا _مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ_ عَلَى شَيْءٍ مَعَ الْأَثَرِ السَّابِقِ (أَثَرِ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةٍ)؛ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ يُعَامِلُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْعِلْمِ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَلَيْهِ، فَيَلْزِمُهَا بِهِ، فَيُظْهِرُ عَلَى آثَارِهِ فِي النَّاسِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى مَا سِوَاهُ، أَلَا لَأَخِيرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ، وَلَا عِلْمٌ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُُّمٌ، وَلَا قِرَاءَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَا يَأْتِي هَذَا الْحَدِيثَ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَكْثَرُهُمْ يُوقِفُونَهُ عَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[التعليق]: نَعَمْ، هذا الحديث وإنْ تُكَلِّمَ فِي سَنَدِهِ لَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ثَابِتٌ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى، فَالْفَقِيهَةُ مَنْ لَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ {وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ} ^(١٧) مَنْ؟ مَنْ هُمْ؟ {الْكَافِرُونَ}، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَلَا يَيَاسُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يَأْمَنُ أَيْضًا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} ^(١٨)، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَمَنْ خَسِرَ هُوَ الَّذِي يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ؛ {وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ} ^(١٩) مَنْ؟ {يَعْلَمُونَ} {يَعْلَمُونَ}؛ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى الْعِلْمِ.

فَالْعَالِمُ هُوَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُ النَّاسَ مَكْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بَلْ يُحَدِّثُهُمْ مَكْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيُنْذِرُهُمْ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ عُقُوبَةُ اللَّهِ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ؛ {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} ^(٢٠) الْآيَاتِ، فَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ.

فهذه الآيات كلها دالة لهذا الذي ذكره أمير المؤمنين علي رضي الله تبارك وتعالى عنه.

{وَلَا يَدْعُ الْقُرْآنَ}: فَالْعَالِمُ؛ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، لَا يَشْبَعُ مِنْ قِرَاءَةِ هَذَا الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَخَافُ أَنْ يَنْدَرَجَ تَحْتَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

^{١٧} _ يوسف (٨٧).

^{١٨} _ الأعراف (٩٩).

^{١٩} _ النمل (٥٠-٥٢).

^{٢٠} _ الأعراف (٩٧-٩٩).

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} ^(٢١)، ويقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ؛ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًّا مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا"،
أَوْ: "تَقْلُتَا" ^(٢٢) مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا".

وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهَذَا فِي الْمُحَافَظَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَلَهُمْ وَرْدٌ مِنَ الْقُرْآنِ، يَخْتِمُونَ دَائِمًا وَأَبَدًا، فهذا الذي
يَجِبُ، فهذا العالمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(أَلَا لَأَ خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهُ): صحيح؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ عَلَى بَيِّنَةٍ لَيْسَ كَمَنْ يَعْمَلُ عَلَى
غَيْرِ بَيِّنَةٍ {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ^(٢٣).

فَالْوَاجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لِدُنْيِكَ} ^(٢٤)، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ الْأَيْمَةَ، وَرَأْسُ مَنْ بَوَّبَ عَلَيْهِ وَأَشْهَرُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: (باب:
الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ).

فَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا فِقْهٌ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الَّذِي يَفْسُدُ حِينَئِذٍ مِنْهَا _ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ
صَاحِبُهَا _ رَبَّمَا يَكُونُ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يَصْلُحُ، فَالْعِلْمُ مُصَحِّحٌ لِلْعِبَادَةِ كَمَا أَنَّهُ مُصَحِّحٌ لِلنِّيَّةِ، وَلَا عِلْمَ لَيْسَ فِيهِ
تَفَقُّهُ.

فَالْعِلْمُ هُوَ الْفَهْمُ، الْفَهْمُ هُوَ الْفِقْهُ، الْفِقْهُ هُوَ الْفَقْهُ، وَالْعِلْمُ هُوَ الْفِقْهُ، وَالْفَقْهُ هُوَ الْفَهْمُ، تَقُولُ فِي
هَذَا الْبَابِ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ"؛ وَالْفِقْهُ: يُقَالُ: فَقَّهَ، وَفَقَّهَ، وَفَقَّهَ (بِالْثَّلَاثِ)، وَاحِدٌ (فَقَّهَ):
تَعَلَّمَ، وَ(فَقَّهَ): الْكَلَامَ، وَ(فَقَّهَ): صَارَ الْفِقْهُ لَهُ سَجِيَّةً، فَقَّهَ وَفَقَّهَ وَفَقَّهَ، (فَقَّهَ): فَهَمَ، (فَقَّهَ): سَبَقَ إِلَيْهِ
الْفِقْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ، فَهَمَ قَبْلَ غَيْرِهِ، وَ(فَقَّهَ): صَارَ الْفِقْهُ لَهُ سَجِيَّةً.

^{٢١} _ الفرقان (٣٠).

^{٢٢} _ هنا في الأصل: "أَيْضًا، اللَّفْظُ الْآخَرُ".

^{٢٣} _ محمد (١٧).

^{٢٤} _ محمد (١٩).

فالعِبَادَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا فَهْمٌ، مَا فِيهَا تَفْهَمٌ، مَا فِيهَا مَعْرِفَةٌ، مَا فِيهَا عِلْمٌ؛ قَدْ قَالَ اللَّهُ فِيهَا: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ^(٢٥)؟! الْجَوَابُ: لَا، فَرَقٌ بَيْنَ الْعَالَمِ فِي عِبَادَتِهِ وَبَيْنَ الْجَاهِلِ فِي عِبَادَتِهِ.

(وَلَا قِرَاءَةً لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ): لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ؛ لَيْسَ لَهُ إِلَّا أَجْرُ النَّالَاةِ.

أَمَّا النَّفْعُ (مَنْ حَيْثُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الْمَقْرُوءُ) لَمْ يَحْصُلْ لِلْإِنْسَانِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} ^(٢٦)؛ أَيْ: يَتَفَهَّمُوا {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} ^(٢٧)، فَالْمَقْصُودُ: التَّدَبُّرُ وَالتَّفْهَمُ.

نَعَمْ؛ الْقِرَاءَةُ عَلَيْهَا أَجْرٌ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ مَعَ ذَلِكَ هَذَا، وَهُوَ فَهْمٌ مَا يَقْرَأُهُ الْإِنْسَانُ لِيَعْمَلَ بِهِ، نَعَمْ.

[الْمُتَنُ]: وَقِيلَ لِلْقَمَانِ: أَيُّ النَّاسِ أَغْنَى؟ قَالَ: مَنْ رَضِيَ بِمَا أُوتِيَ، قَالُوا: فَأَيُّهُمْ أَعْلَمُ؟ قَالَ: مَنْ زَادَ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ.

[التَّعْلِيلُ]: يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يَسْتَكْفِ مَنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ دَائِمًا وَأَبَدًا.

(مَنْ زَادَ مِنْ عِلْمِ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ): هَذَا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ، قَالُوا لِأَحْمَدَ: مَا كَفَاكَ؟! الْمُحْبَرَةُ مَعَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعَ الْمُحْبَرَةِ إِلَى الْمُقْبَرَةِ، رَبُّمَا الْحَدِيثُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أُنْتَفِعَ بِهِ مَا كَتَبْتُهُ بَعْدَ (مَا سَمِعْتُهُ بَعْدَ).

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْعِلْمِ هُوَ الَّذِي يَسْتَفِيدُ دَائِمًا وَأَبَدًا وَيَتَوَاضَعُ، هَذَا هُوَ الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَنَا بِهِذَا، فَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَخَلِيلَهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ

^{٢٥} _ الزمر (٩).

^{٢٦} _ ص (٢٩).

^{٢٧} _ ق (٣٧).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَسْأَلَهُ الزِّيَادَةَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (٢٨).

فَمَنْ طَلَبَ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَتَوَاضَعَ فِي هَذَا الْبَابِ وَاسْتَفَادَ مِنَ النَّاسِ وَلَوْ كَانَ عَالِمًا، وَلَوْ كَانَ عَالِمًا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، لَكِنَّ الْعَالِمَ مَا أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ؛ هَذَا هُوَ الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ.

أَمَّا مَنْ يَسْتَنْكِفُ وَيَسْتَكْبِرُ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَهَذَا لَمْ يُفِدْهُ عِلْمُهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ أَصْلٍ؟! هَذِهِ بَلِيَّةٌ أُخْرَى.

هَذَا الْعَالِمُ الْحَقِيقِيُّ، فَكَيْفَ بِالْعَالِمِ الَّذِي عَلَى الْمَجَازِ؟! مَنْ قِيلَ عَنْهُ عَالِمٌ أَوْ شَيْخٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ ثَانِيَةٌ.

وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ قَدْ تَسَهَّلَتْ هَذِهِ الْوَسَائِلُ وَسَهَّلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ يَقِفُ خَلْفَ هَذِهِ الشَّاشَاتِ وَخَلْفَ هَذِهِ الْأَجْهَزَةِ، وَتَجِدُهُ يَكْتُبُ وَيَكْتُبُ، وَالنَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ مَنْ هُوَ! وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي السُّؤَالَاتُ: فُلَانٌ مَا تَقُولُونَ فِيهِ؟ فُلَانٌ مَاذَا تَعْرِفُونَ عَنْهُ؟

نَحْنُ مَا نَحْنُ شَمْسٌ شَارِقَةٌ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ جَمِيعًا الَّذِينَ أَصْبَحُوا يَكْتُبُونَ فِي هَذِهِ الْأَدَوَاتِ، وَهَذِهِ الْوَسَائِلِ، كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا نَعْرِفُهُمْ.

فَالشَّاهِدُ: هَذِهِ الْوَسَائِلُ جَرَّاتٌ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِي سُمُّوا (مَشَايخَ) وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسُوا بِمَشَايخَ، كَمَا قَالَ فِيهِمْ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أَنَّهُمْ مَشَايخُ مَجَازِيٍّ (مَجَازُ)، أَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَيْسُوا بِمَشَايخَ، نَسَأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، نَعَمْ.

[الْمُتَنُ]: وَعَنْ كَعْبٍ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ غَرَفَانُ

لِلْعِلْمِ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يُرِيدُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ.

[التَّعْلِيْقُ]: (الَّذِي لَا يَشْبَعُ...): مَنْهُوْمَانِ لَا يَشْبَعَانِ، هَذَا _نَعَمْ_ مِنَ الْأَخْبَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، لَكِنْ

يَدُلُّ لَهُ أَيْش؟

(أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ غَرَفَانُ لِلْعِلْمِ): يَعْنِي: لَا يَشْبَعُ مِنْ طَلْبِهِ.

هَذَا جَاءَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْآخَرُ: مَنْهُوْمَانِ لَا...؟ مَنْهُوْمَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا.

فَطَالِبُ الْعِلْمِ مَا يَشْبَعُ، نَهْمٌ، كُلَّمَا وَصَلَ إِلَى شَيْءٍ تَطَلَّعَ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ،

إِلَى مَا هُوَ أَوْسَعُ مِنْهُ، فَذَائِمًا يَزْدَادُ فِي مَعَارِفِهِ.

فهذا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَنَّ عِنْدَنَا فِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحِيحَةِ مَا

يَدُلُّ عَلَيْهِ، هَذَا هُوَ الْعَالِمُ.

أَمَّا الَّذِي يَرَى نَفْسَهُ قَدْ وَصَلَ؛ هَذَا لَيْسَ بِعَالِمٍ، نَعَمْ، فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا، وَصَلَاحُ الْعِلْمِ

إِصْلَاحُ الْعَمَلِ، نَعَمْ.

[الْمُتَنُ]: وَعَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِي

يَلْتَمِسُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ^(٢٩).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا.

^{٢٩} _ هنا في الأصل: قَالَ الشَّيْخُ حَفْظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "تَقَدَّمَ مَعْنَا، نَعَمْ".

[التعليق]: هذا هو العلم، رأس العلم الخشية، العلم الذي لا يُورث صاحبه الخشية؛ هذا هو العلم الذي لا ينفع، نعوذ بالله، نسأل الله العافية والسلامة، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: وأعوذ بك من علم لا ينفع.

فالعلم الذي ينفع؛ أول ما ينفع صاحبه في نفسه، يتجمل هو به، فيعرف الله جلّ وعلا (كما قلنا في أول الكلام) بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يعبد الله جلّ وعلا على بينة، ثم يدعو الناس {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (٣٠).

فالعلم هو الخشية؛ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} (٣١)، أليس هذا هو الخشية؟! أليست هذه هي الخوف من الله؟! هذا هو.

{قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ} : يُصَلِّيُ لَهِ جَلَّ وَعَلَا، {يَحْذَرُ الْآخِرَةَ} : يَخَافُ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ، لَا يَيْئَسُ، بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ مَا دَامَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَنْقَلِبُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَهُوَ كَالطَّائِرِ يَطِيرُ بِالْجَنَاحَيْنِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْخَوْفِ فَهُوَ خَارِجِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ فَهُوَ مُرْجِيٌّ، وَالسُّنِّيُّ هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَمَا دَامَ فِي الْحَيَاةِ نَشِيطًا صَحِيحًا مُعَافَى؛ يُغْلِبُ جَانِبَ الْخَوْفِ لِيُؤْزِرَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمُبَادَرَةِ وَالْمُسَارَعَةِ، وَإِذَا ضَعُفَ؛ لَا يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَهُوَ عَظِيمُ الرَّجَاءِ فِي اللَّهِ، فَجَامِعٌ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَالْجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ يَطِيرُ بِهِمَا، إِذَا انْقَطَعَ أَحَدُهُمَا أَوْ انْكَسَرَ لَمْ يُحْسِنِ التَّحْلِيْقَ وَالطَّيْرَانِ، هَذَا هُوَ اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ.

٣٠ _ العصر (٣).

٣١ _ الزمر (٩).

فَالْعَبْدُ _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِهَذَا، الْعَالِمُ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِهَذَا {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٢)؛ فَجَعَلَ الْعِلْمَ هُوَ الْخَوْفُ هُنَا.

وَقَالَ هُنَاكَ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (٣٣).

لَكِنْ هُنَا أَظْهَرَ، هُنَاكَ قَصَرَ الْخَشْيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، أَمَّا هُنَا فَجَعَلَ الْعِلْمَ هُوَ الْخَشْيَةُ {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٤)؟! الْجَوَابُ: لَا.

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَقْنُتُونَ اللَّهَ، وَيَتَّقَرَّبُونَ إِلَيْهِ، وَيَرْجُونَ، وَيَدْعُونَ رَغْبًا وَرَهْبًا {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهْبًا} (٣٥) فهذه صفات أهل الإيمان.

وَأَهْلُ الْإِيمَانِ أَفْضَلُهُمْ بَعْدَ الرُّسُلِ وَأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْعِلْمِ، هُمْ نَقَاوَةُ النَّاسِ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ، نَعَمْ.

[الْمُتَن]: وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَمُوتَ النَّاسُ فِي دَاثِ اللَّهِ، وَلَا يَفْقَهُ الْعَبْدُ كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: صَدَقَ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا يُعْرَفُ بـ"السَّمِينِ"، وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَهُمْ، مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ، وَهَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ مَرْفُوعًا، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

٣٢ _ الزمر (٩).

٣٣ _ فاطر (٢٨).

٣٤ _ الزمر (٩).

٣٥ _ الأنبياء (٩٠).

[التعليق]: (من قول أبي الدرداء): موقوف.

وبهذه المناسبة معشر الأحبة؛ (أبو الدرداء رضي الله عنه): له ترجمة جميلة في كتاب تاريخ ابن عساکر رحمه الله، له ترجمة جميلة في "تاريخ دمشق"؛ للحافظ ابن عساکر، فيها جميع الدرر أو أكثر ما نُقل عن أبي الدرداء من الدرر في هذا الباب رضي الله عنه.

فأوصيكم معشر الأحبة إن جاد وفنكم أن ترجعوا إلى ترجمة هذا الصحابي الجليل الفقيه، كان في الشام، فتقرؤونها في هذا التاريخ؛ فإني فيما أعلم ما رأيت أحدا توسع في ترجمته (في حسب علمي، حسب علمي، أتكلّم على حسب علمي) كما توسع الحافظ ابن عساکر، فترجمته مليئة بالدرر، الكلمات الوعظية، والكلمات الزهوية، والآداب، والأخلاق، والرفائق، والفقه، والسُنن، والتحذير من...إلى غير ذلك، فترجمته رضي الله عنه في هذا الكتاب من أوسع ما رأيت.

وهذا الكلام وإن كان لا يصح مرفوعا إلا أنه من كلام هذا الصحابي الجليل، وقد قامت الدلائل التي ذكرنا بعضها عليه.

فمن ذلك أن يطلب رضا الله جلّ وعلا، لا رضا الناس، يطلب رضا الله، يمتت الناس في ذات الله، الذي يهيمه هو رضا ربّه تبارك وتعالى، لا ينظر إلى رضا الناس، ما يهيمه، إذا خالفوا أوامر الله ورسوله قدّم أوامر الله ورسوله عليهم، ولو كانت الكثرة مخالفة ما ضره أن يمتتهم؛ لأنهم على خلاف ما عليه من؟ ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وهكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك قصة ابن مسعود رضي الله عنه، قد دخل على أهل المسجد، وتحلقوا حلقا، وكان بين أيديهم الحصى! قال لهم: ما أسرع هلككم! أيها الناس، ما أسرع هلككم! هذه آية رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكسر، وثيابه لم تبل، وأصحابه متوافرون، فما

أَسْرَعَ مَا خَالَفْتُمْ هَدْيَهُ! إِمَّا أَنْكُمْ عَلَى هُدًى أَهْدَى مِمَّا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، أَوْ أَنْكُمْ مُفْتَتِحُوا بَابِ ضَلَالَةٍ، حِينَمَا رَأَاهُمْ (هَلُّوْا مِائَةً! سَبِّحُوا مِائَةً! كَبِّرُوا مِائَةً!) فَمَقَّتَهُمْ، مَا قَالَ: هَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ! هَذَا يُصْبِحُ مَفْسَدَةً! هَذِهِ تُصْبِحُ فِتْنَةً! لَأُقَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَمُقَّتُ اللَّهُ، وَيَمْدَحُ اللَّهُ كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ لِلَّهِ، وَيُبْغِضُ لِلَّهِ، فَهَكَذَا يَمُقَّتُ لِلَّهِ وَيُحِبُّ لِلَّهِ، يَدُمُ لِلَّهِ وَيَمْدَحُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا إِلَّا إِذَا قَامَ بِهِذَا الْعَمَلِ.

وهكذا (حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً): يَرَى أَنْوَاعَ الْأَوَامِرِ، وَأَنْوَاعَ الْعُلُومِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَجِيبِ.

لَا شَكَّ هَذَا كُلَّمَا أَزْدَادَ الْمَرْءَ مَعْرِفَةً بِكِتَابِ اللَّهِ أَزْدَادَ مَعْرِفَةَ بِهِذِهِ الْوُجُوهِ، فَيَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَمُقَدِّمَهُ، وَمُؤَخَّرَهُ، وَمُقَيَّدَهُ، وَمُطْلَقَهُ، وَعَامَّةً، وَخَاصَّةً، وَلَيْلِيَّةً، وَنَهَارِيَّةً، وَمَكِّيَّةً، وَمَدَنِيَّةً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

هذا لا بد أن يَمُرَّ فِيهِ أَيْضًا عَلَى كِتَابِ فِي التَّفْسِيرِ، يَعْتَنِي بِهِذَا.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُعْتَنَى بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ يَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ هُوَ عُمْدَةُ الْعُلَمَاءِ، كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ بَعْدِ مَا صُنِّفَ هَذَا التَّفْسِيرُ وَاشْتَهَرَ صَارَ عُمْدَةَ الْعُلَمَاءِ، صَارَ عُمْدَتَهُمْ هَذَا الْكِتَابُ.

هذا الكتابُ جَامِعٌ بَيْنَ الرِّوَايَةِ وَبَيْنَ الدَّرَايَةِ، وَبَيْنَ النُّقْدِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ لِلْمَرْوِيَّاتِ وَلِلضَّعِيفِ.

نَعَمْ؛ فِيهِ الْقُصُورُ، مَا يَخْلُو مِنْهُ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ، لَكِنَّهُ وَاسِطَةُ الْعَقْدِ، فَلَا هُوَ بِالطَّوِيلِ الَّذِي تَسَامُ إِذَا رَأَيْتَهُ وَتَخَافُ مِنْهُ، فَتَنْتَهِيَبُ وَلَا تَقْرُؤُهُ، وَلَا هُوَ بِالْقَصِيرِ الْمُخِلِّ، فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ جَامِعٌ، مَعَ الْاِخْتِصَارِ جَامِعٌ.

فِيَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ هَذَا الْبَابُ بَابُ مُهِمٍّ؛ بَابُ التَّفْسِيرِ، وَبَابُ الْقِرَاءَةِ فِيهِ، اجْعَلْهُ عِنْدَكَ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، الْيَوْمَ مَا فِيهِ، بُكْرَةً تَرْجِعُ تَقْرَأُ آيَةً، نِصْفَ آيَةٍ، وَهَكَذَا.

الْمُهِمُّ أَنَّهُ يَقْبَحُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَعْرِفَ تَفْسِيرَ كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بَلْ هَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ قَبِيحًا فِي حَقِّ طَالِبِ الْعِلْمِ، كَيْفَ لَا يَعْرِفُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُلُومِ وَمَنْبَعُ الْعُلُومِ، وَالْعُلُومُ كُلُّهَا فِيهِ؟! فَهُوَ أَصْلُهَا الَّذِي قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (٣٦)، {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (٣٧).

وَهَذَا الْكِتَابُ مُهِيمٌ عَلَى مَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَهُوَ جَامِعٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَزَائِدٌ عَلَيْهَا، هَذَا مَعْنَى "الْمُهِيمِ" مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ.

هَذَا الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ فِيهِ _جَلَّ وَعَلَا_: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (٣٨).

فَلَا بُدَّ _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ مِنَ الْاعْتِنَاءِ بِهَذَا التَّفْسِيرِ.

وَاخْتِصَارُهُ الْجَمِيلُ أَيْضًا بَيْنَ أَيْدِينَا (عُمْدَةُ التَّفْسِيرِ)، فَمَنْ ضَعُفَ عَنِ الْأَصْلِ فَلْيُرَاجِعِ الْمُخْتَصَرَ مِنْهُ.

فَاللَّهُ اللَّهُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ، مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ، وَالْمَنْسُوخِ، الْعَامِّ، الْخَاصِّ، الْمُطْلَقِ، الْمُقَيَّدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْوُجُوهُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ لَا بُدَّ أَنْ يَدْرِيَهَا الْعَالِمُ؛ حَتَّى إِذَا تَكَلَّمَ يَعْرِفُ فِي هَذَا الْبَابِ، نَعَمْ.

٣٦ _ الفرقان (٣٣).

٣٧ _ الفرقان (٣٣).

٣٨ _ الإسراء (٩).

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً، وَلَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَمُتَ النَّاسَ فِي دَاتِ اللَّهِ، ثُمَّ تُقْبَلَ عَلَى نَفْسِكَ فَتَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا مِنْكَ لِلنَّاسِ.

[التَّعْلِيلُ]: صحيحٌ، هذا الذي تقدَّم، تكلَّمنا عليه، لَكِنْ قَوْلُهُ (فَتَكُونُ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا): هذا يبدأ بنفسه، فَإِنَّهُ إِذَا مَقَتَ نَفْسَهُ فِي دَاتِ اللَّهِ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ التَّوَاضُّعَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ لِعِبَادِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الصِّفَةُ (صِفَةُ التَّوَاضُّعِ) هي صِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا رَسُولًا، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا، فَمَقَامُ الْعُبُودِيَّةِ أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ وَأَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ، وَأَعْلَى الْمَقَامَاتِ.

فالْعُلَمَاءُ وَرِثُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجِدُهُمْ أَعْلَمَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُّعًا فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ مَقْتًا لِنَفْسِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ.

كِبَارُ شُيُوخِنَا كَانُوا يَقُولُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ: نَحْنُ طَلَبَةُ عِلْمٍ!

شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَقُولُ: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ^(٣٩)، إِذَا مَرَّتِ الْمَسْأَلَةُ وَاحْتِاجَ أَنْ يُرَاجَعَ؛ قَالَ: تُرَاجِعْ، تُرَاجِعْ {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ^(٤٠).

هَذَا الْعَالِمُ يَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، هَذَا الْعَالِمُ، وَمَنْ لَزِمَ هَذَا الطَّرِيقَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ، مَنْ لَزِمَ هَذَا الطَّرِيقَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ.

^{٣٩} _ الإسراء (٨٥).

^{٤٠} _ الإسراء (٨٥).

أَمَّا مَنْ لَزِمَ بَابَ الْافْتِحَارِ عَلَى النَّاسِ! وَالتَّعَاطُمِ عَلَيْهِمْ! وَالتَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ! فَالنَّاسُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَوَاقِعُهُ سَيَكْشِفُهُ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَسْتُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فلا بد يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُورِثَنَا هَذَا الْعِلْمُ التَّوَّاضِعُ لِلَّهِ أَوَّلًا، ثُمَّ التَّوَّاضِعُ لِعِبَادِهِ؛ {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (٤١).

فَالنَّاسُ لَيْسُوا عَبِيدًا لَنَا، وَلَا لَأَبَائِنَا، وَلَا لَأُمَّهَاتِنَا، وَلَيْسُوا بِخَوَلٍ لَنَا، مَا جَاؤُونَا إِلَّا مَحَبَّةً وَاحْسَانًا لِلظَّنِّ بِنَا.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ لِلنَّاسِ حَقَّهُمْ، كَمَا هُمْ قَدْرُوكَ وَعَرَفُوا لَكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِكَ، اسْتَأْمَنُوكَ عَلَى أُمُورِهِمْ فَاسْتَسْرُوكَ بِهَا، اسْتَأْمَنُوكَ عَلَى دِينِهِمْ فَاسْتَفْتُوكَ فِيهِ، اسْتَأْمَنُوكَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فَجَاؤُوا يَذْكُرُونَ لَكَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْقُصُورِ.

فَكُنْ كَذَلِكَ _أَنْتَ_ قَرِيبًا مِنْهُمْ، لَيْنًا، هَيِّنًا؛ فَإِنَّ النَّاسَ مَا جَاؤُوكَ بِالْعَصَا، جَاؤُوكَ بِشَيْءٍ فِي قُلُوبِهِمْ قَدْ قَذَفَهُ اللَّهُ لَكَ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ، لَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ، فَالْإِقْبَالُ بِهَا، وَالْإِدْبَارُ بِهَا عَنْكَ _أَيُّهَا الْعَالِمُ_ لَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ، إِنَّمَا هُوَ بِيَدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ بِهَا، وَهُوَ الَّذِي يُدِيرُ بِهَا، فَأَنْتَ إِذَا عَامَلْتَ اللَّهَ وَجَدْتَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقْبَلُ عَلَيْكَ بِقُلُوبِ الْعِبَادِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ جَمِيعًا أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ؛ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَأْتُونَكَ مَحَبَّةً فِيكَ، وَثِقَةً فِيكَ، وَتَقْدِيرًا لَكَ، فَإِذَا كَانُوا كَذَلِكَ؛ فَالْوَاجِبُ أَنْتَ أَنْ تُعَامِلَهُمْ وَأَنْ تُبَادِلَهُمْ بِنَفْسِ هَذَا

^{٤١} _آل عمران (١٥٩)_.

الشُّعُورِ، فَتَكُونُ لِلصَّغِيرِ أَبًا، وَلِلْمُسَاوِي أَخًا، وَلِلْكَبِيرِ ابْنًا، وَأَنْ تَكُونَ رَحِيمًا، عَطُوفًا، هَيِّنًا، لَيِّنًا، تَسْعَى فِي تَحْقِيقِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُ، كَمَا أَنَّكَ تُنَوِّرُهُمْ، وَتُنَوِّرُ بِصَابِرِهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْعِلْمِ.

فهكذا أيضًا العالم للناس _يا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ بِمَنْزِلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((وَارِثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: "إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ"، وَالْوَالِدُ رَحِيمٌ، الْوَالِدُ رَحِيمٌ، وَمَعَ ذَلِكَ يُؤَدَّبُ.

وَقَسًا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ رَاحِمًا ... فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هُوَ رَحِيمٌ، لَكِنْ قَدْ يَحْتَاجُ أَحْيَانًا إِلَى الْقَسْوَةِ لِتَأْدِيبِ أَبْنَائِهِ (أَوْلَادِهِ عُمُومًا)، لَكِنْ الرَّحْمَةُ غَالِبَةٌ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي مُدِحَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْقَسْوَةُ هِيَ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ بِهَا الْخَيْرَ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} (٤٢) أَيُّشُ صِفَاتُهُ؟ أَيُّشُ؟ {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} : مُخَالَفَتُكُمْ وَالْمَشَقَّةُ عَلَيْكُمْ؛ هَذِهِ تَعِزُّ عَلَيْهِ {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} : يَعْنِي: عَلَى هِدَايَتِكُمْ، وَعَلَى إِيصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْكُمْ {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} : فَالرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَدِ اتَّصَفَ بِالرَّحْمَةِ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ"، قَدَمَهَا بِقَوْلِهِ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ"، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} (٤٣).

فَالشَّاهِدُ: مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، الْعَالَمُ أَخْلَاقُهُ فِي هَذَا اخْلَاقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا فَإِنَّهُ بَعِيدٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ الْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ، نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقَ لِلْجَمِيعِ، نَعَمْ.

^{٤٢} _ التوبة (١٢٨).

^{٤٣} _ آل عمران (١٥٩).

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً^(٤٤)، قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: قُلْتُ لِأَيُّوبَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: "حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهًا كَثِيرَةً"؟ فَسَكَتَ يَتَفَكَّرُ^(٤٥)، قُلْتُ: هُوَ أَنْ يَرَى لَهُ وَجُوهًا، فَيَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ، قَالَ: هَذَا هُوَ، هَذَا هُوَ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، يَرَى لَهُ وَجُوهًا؛ رُبَّمَا لَا يَسْتَحْضِرُ شَيْئًا فِي هَذَا الْبَابِ مِنْهَا، فَيَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِ، يَهَابُ الْقَوْلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟! وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ بَابٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ أَجْرًا النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرُهُمْ عَلَى النَّارِ؛ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

وَالْعَالَمُ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي لَا يُقَدِّمُ عَلَى الْفُتْيَا حَتَّى يَرَى مَخْرَجَهُ مِنْهَا، هَذَا هُوَ الْعَالَمُ، وَالْمَخْرَجُ وَحُسْنُ الْمَخْرَجِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ، بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، فَيُفْتِي بِ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي"، يَقُولُ: "لَا أَدْرِي"، لَا يَضُرُّهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي، فَإِذَا كَانَ مُلَازِمًا لـ "لَا أَدْرِي" نَجَا، وَإِنْ ضَيَّعَهَا هَلَكَ، إِذَا تَرَكَ الْعَالَمُ "لَا أَدْرِي" أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَجَلَانَ، وَأَخَذَهَا النَّاطِمُ فَقَالَ:

فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يَرَى مُتَّصِدًا ... وَيَكْرَهُ "لَا أَدْرِي" أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

فَيَتَهَيَّبُ الْعَالَمُ؛ إِذَا جَاءَ يَقُولُ: "لَا أَدْرِي".

^{٤٤} _ هنا في الأصل قال الشيخ حفظه الله تعالى: "تَقَدَّمَ".

^{٤٥} _ هنا في الأصل قال الشيخ حفظه الله تعالى: "يَتَفَكَّرُ، نَعَمْ".

سَمِعْتُ شَيْخَنَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ الشَّيْخَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (فِي هَذَا الزَّمَنِ) رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَّاتٍ وَكَرَّاتٍ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ السُّؤَالَ، فَيُطَرِّقُ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، فَيَقُولُ: أَعَدُّ، يُقْرَأُ عَلَيْهِ؛ أَعَدُّ، وَيُمْكِنُ سَمْعَتُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا فِي (نُورٍ عَلَى الدَّرْبِ)، وَقَدْ سَمِعْتُهُ أَنَا أَيْضًا فِي (نُورٍ عَلَى الدَّرْبِ)، لَكِنْ رَأَيْتُهُ بَعَيْنِي، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَشَهِدْتُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: "يُنْظَرُ، يُرَاجَعُ"، وَلَا يُفْتَى، وَلَا يُفْتَى، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى!

فَالْعَالَمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَلْزَمُ هَذَا الْبَابَ وَيَتَهَيَّبُ مِنْ أَنْ يَقُولَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي دِينِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} ^(٤٦)، إِلَى أَنْ قَالَ: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}؛ فَجَعَلَ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بَلَا عِلْمٍ أَشَدَّ الْمَرَاتِبِ؛ لِأَنَّهُ رَتَّبَهَا مِنَ الْأَهْوَنِ إِلَى الْأَشَدِّ (مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى)، فَمَا قِيلَ بِالشُّرْكِ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَا مَا دُونَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَعَمْ.

[الْمُتْنُ]: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ لَتَأْتِيَنِي الْقَضِيَّةُ أَعْرِفُ لَهَا وَجْهَيْنِ، فَأَيُّهُمَا أَخَذْتُ بِهِ عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَضَيْتُ بِالْحَقِّ.

[التَّعْلِيلُ]: يَعْنِي: يَعْرِفُ الْخِلَافَ، إِنْ قَالَ بِهِذَا؛ فَقَدْ قَالَ وَمَعَهُ دَلِيلٌ، وَإِنْ قَالَ بِهِذَا؛ فَقَدْ قَالَ وَمَعَهُ دَلِيلٌ.

مِثَالُ الْبَسْمَلَةِ (مِثْلًا): إِذَا قُلْتَ: (اجْهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ)؛ مَعَكَ فِيهَا دَلِيلٌ، (لَا تَجْهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ)؛ مَعَكَ فِيهَا دَلِيلٌ (مِثْلًا)، وَقَدْ أَسْرَهَا النَّبِيُّ وَقَدْ جَهَرَ، وَالْكُلُّ مِنْهُمْ رَوَى لِمَا حَضَرَ، أَوْ: كُلُّ وَاحِدٍ رَوَى لِمَا حَضَرَ، وَأَنْسَى قَدْ شَاهَدَ الْحَالَيْنِ كَمَا رَوَاهُمَا مُفْصَلَيْنِ.

^{٤٦} _ الأعراف (٣٣).

وَهَكَذَا، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذَا مَعَهُ دَلِيلٌ حَقٌّ؛ وَهَذَا مَعَهُ...؛ يَعْنِي: يَسُوعُ فِيهِ الْخِلَافُ.

وهكذا مثله القراءة: لَمَّا لَبَّيْ عُمَرُ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا...؛ فَعَلَهُ مَعَ مَنْ؟ مَعَ مَنْ؟ أَجِيبُوا، نَعَمْ، قَالَ: هَذَا يَقْرَأُ عَلَى خِلَافِ مَا سَمِعْتُ، قَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قَرَأَ، قَالَ: هَكَذَا عَلَيَّ أَنْزَلَ، قَالَ لِأَخِيهِ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قَرَأَ، قَالَ: هَكَذَا عَلَيَّ أَنْزَلَ.

يُقَالُ أَيْضًا فِي هَذَا؛ شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: صَلَّى مَرَّةً وَقَرَأَ أَوْ قَرَأَ الْإِمَامُ بِغَيْرِ الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ، فَالشَّيْخُ رَدَّهُ، فَقَالَ: هَذِهِ قِرَاءَةٌ... فَكَانَتْ سَبَبًا فِي إِنْشَاءِ وَفَتْحِ كُلِّيَةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَمَثَلُ هَذَا؛ نَعَمْ، تَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ قِرَاءَةٌ، وَأَنَّ هَذِهِ قِرَاءَةٌ، يَتَرْتَّبُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ حُكْمٌ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ حُكْمٌ.

وَهُنَاكَ كِتَابٌ لَطِيفٌ أَيْضًا لِأَخِينَا الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ عُمَرَ بَارْمُولٍ: "أَثَرُ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ فِي الْأَحْكَامِ"، جَمِيلٌ جِدًّا، فَانْتِ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ كَذَا...، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ كَذَا...؛ فَهَذَا وَجْهٌ، وَهَذَا وَجْهٌ، وَقَيْسُوا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْتُمْ.

الشَّاهِدُ: الْعَالَمُ تَأْتِيهِ الْمَسْأَلَةُ وَهُوَ عِنْدَهُ الْعِلْمُ فِيهَا، وَإِضَافَةً إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْفِقْهُ _ يَكُونُ عَارِفًا بِالْخِلَافِ فِيهَا؛ هَذَا هُوَ الْعَالَمُ الْحَقِيقِيُّ، نَعَمْ.

[الْمَثْنُ]: وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمُ رَاحَةَ الْفَقْهِ بِأَنْفِهِ.

[التَّعْلِيلُ]: خُلَاصٌ، إِذَا نَقِفُ عِنْدَ هَذَا، وَلَعَلَّنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُوَصِلُ يَوْمَ غَدٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذَا الْبَابِ النَّافِعِ، وَفِي آخِرِهِ إِنْ يَسَّرَ اللَّهُ لَنَا أَضْفَنًا شَيْئًا مِمَّا يُنَاسِبُ أَنْ يُذَكَّرَ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُورِثَنَا وَإِيَّاكُمْ الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالْبَصِيرَةَ فِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ طُلَّابَ عِلْمٍ حَقِيقَةٍ، لَا مَجَازًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، كَمَا أَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتُرَنَا وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ، وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِنَا، وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِنَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، كَمَا نَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيُصْلِحَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ^(٤٧).

^{٤٧} _ مَا كَانَ مِنْ خَطَاٍ فِي التَّفَرُّعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللقاء الثاني في التعليق على باب: (مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيهًا أَوْ عَالِمًا حَقِيقَةً لَا مَجَازًا وَمَنْ يَجُوزُ لَهُ الْفُتْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ)، مِنْ كِتَاب: (جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ)؛ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، تَعْلِيْقُ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْمُدْرَسِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ: أَبِي أَنَسٍ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَذْحَلِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ وَرَعَاهُ.

[القارئ]: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَوَالِدِينَا وَالسَّامِعِينَ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ فِي كِتَابِهِ: "جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ":

[المتن]: عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمُ رَاحَةَ الْفَقْهِ بِأَنَّهُ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عُرُوبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْإِخْتِلَافَ فَلَا تَعُدُّهُ عَالِمًا، وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْإِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمُ أَنْفَهُ الْفَقْهَ، وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اخْتِلَافَ الْقُرَاءِ فَلَيْسَ بِقَارِئٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ فَلَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِاخْتِلَافِ النَّاسِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَدَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ أَوْثَقُ مِنَ الَّذِي فِي يَدِهِ، وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقَلُّهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنِ الْفُتْيَا أَعْلَمُهُمْ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ.

[التعليق]: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ الْآثَارُ (التي سَمِعْنَاهَا وَسَمِعْتُمُوهَا جَمِيعًا) فِيهَا الْحَثُّ أَوَّلًا بِدِلَالَةِ الْمَفْهُومِ عَلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ أَنْ تَتَّسِعَ مَدَارِكُهُ، وَتَزِيدَ

معارفهُ، فلربما اكتفى بما بين يديه من العلم ويرى أن هذا هو الصواب، ويرد ما عداه! ولو اطلع على ما عداه من الأقوال لراى فيها _ربما_ ما هو أرجح ممّا هو عليه من حيث التعليل، فقد يتحدّد الدليل ويختلف منزع المستدلين، ولكلّ جهة هو مؤلّيها، يكون هذا له وجهة في الاستنباط، وذاك له وجهة، فحينما لا يطلع على الأقاويل الأخرى واختلاف العلماء في الفقه (في النصوص) ويعرف اختلاف ماخذهم؛ لماذا هذا ذهب إلى كذا؟ ولماذا هذا ذهب إلى كذا؟ هذا يعرفه متى؟ حينما يعلل العالم وجهه مأخذه للحكم، فإذا اطلع على الوجوه التي تسببت في هذا الخلاف يعلم حينئذ أن الذي بين يديه _في بعض الأحيان_ أضعف ممّا لم يطلع عليه، وبسبب هذا القصور يرد ما هو أوثق! ويعمل بما في يديه أو بما بين يديه ممّا اطلع عليه؛ لا لشيء إلا لأنّه هو الذي علمه فقط! فحينما تتسع المدارك بالوقوف على اختلاف الفقهاء ومنازعتهم في الاستدلال حينئذ يكون أوثق عند الناس في فتياه؛ لأنّه يكون قد اطلع على الأقوال، وعرف منازع أصحابها، فما وصل إلى الذي بين يديه إلا بعد دراسة وإطلاع وتمحيص، فيكون حينئذ أوثق، وهذا معنى قول آخر أثر وقفنا عليه في القراءة الآن، الذي قال فيه المصنّف: (عن عثمان بن عطاء عن أبيه _يعني: عطاء_ قال: "إنّه لا ينبغي لأحد أن يفتي حتّى يكون عالمًا باختلاف الناس"؛ لماذا؟ لأنّ من لم يكن كذلك يرد من العلم ما هو أوثق من الذي في يده؛ يعني: يرد ما هو أرجح وأقوى ممّا هو في يده، فإذا هذه دلالة أيش؟ دلالة المفهوم.

دلالة المنطوق: الحث على الاطلاع على أقاويل الفقهاء في المسائل، وسبرها، ومعرفة أدلتها، ثم بعد ذلك تفتي.

فمن لا يعرف هذا؛ يصح له أن يفتي الناس؟ لا يصح له أن يفتي الناس، لا يصح له أن يفتي الناس.

فكيف بالذي لا يحسن قراءة سطرين؟! هذه مصيبة.

وَكَيْفَ بِالَّذِي يَجْرُ الْفَاعِلُ؟! وَيَرْفَعُ الْمَجْرُورَ؟! وَيَرْفَعُ الْمَفْعُولَ؟! وَيَنْصِبُ الْفَاعِلَ؟! هَذَا يَصْلُحُ أَنْ
يَكُونَ مُفْتِيًّا؟! هَذَا إِذَا جَاءَتْ تَوْجِيهَاتُ الْعُلَمَاءِ وَاخْتِلَافَاتُ الْفُقَهَاءِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْجُمَلِ (فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَيُنِيَّتْ عَلَى الْإِعْرَابِ؛ يَضِيعُ، لَا يَعْرِفُ شَيْئًا.

وها أنتم ترون في هذه الأزمنة المتأخرة تصدّر هؤلاء!

لا، والفِتْنَةُ بِجَعْلِهِمْ "مَشَايخ"!!!

وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ فِتْنَةٌ أَنْ يُقَالَ لِلنَّاسِ: "ارْجِعُوا لَهُمْ"!!!

هذه بليّة عظيمة، هذه مصيبة عظيمة، هذا غشٌّ للأمة، وغشٌّ قبل ذلك لِدِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، هذا
غشٌّ للأمة (أُمة الإسلام)، وغشٌّ قبل ذلك لِدِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ أَنْ يُحَالَ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ.

فأنتم الآن انظروا كلام علماء الإسلام مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَإِلَى مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ الْمَتَأَخَّرَةِ،
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ.

فَمَنْ (لَمْ يَعْرِفِ الْاِخْتِلَافَ لَمْ يَشْمِ الْفِقْهُ): والمراد بهذا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْبَاحِثُ وَالطَّالِبُ لِلْحَقِّ
وَالْمُتَعَلِّمُ (الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ)؛ أَوَّلًا: يُسَهِّلُ عَلَيْكَ الطَّلَبُ، فَتَقْرَأُ عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ، أَوْ عَلَى اخْتِيَارٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ يُوسِّعُ لَكَ فِي الْاِخْتِلَافِ، فَتَقْرَأُ عَلَى رَوَايَتَيْنِ أَوْ قَوْلَيْنِ، ثُمَّ تَوْسِّعُ فِي الْخِلَافِ، فَتَنْتَهِي إِلَام؟ إِلَى
هَذَا؛ (مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخِلَافَ لَمْ يَشْمِ) أَيُّش؟ الْفِقْهُ، يَعْنِي: الْفِقْهُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ تَعْرِفَ (أَوَّلًا) الدَّلِيلَ، وَوَجْهَ
الاستدلالِ، ثُمَّ الْمَخَالَفَ، وَوَجْهَ استنباطه، وَإِنْ كَانَ لَهُ دَلِيلٌ آخَرُ؛ عَرَفْتَ وَجْهَ مَأْخِذِهِ، ثُمَّ تَعْرِفُ عِلَّتَهُ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَقَارَنُ بَيْنَ هَذِهِ، وَتُقَدِّمُ لِلنَّاسِ الَّذِي يَصِحُّ.

ولذلك قال النَّاصِحُ لَنَا مُبَيِّنًا مِنْهَجَ عُلَمَائِنَا لَنَا الَّذِي وَضَعُوهُ وَأَسَّسُوهُ، يَقُولُ:

كَفَى الْخَلْقَ بِالكَافِي وَأَفْنَعَ طَالِبًا ... بِمُقْنَعِ فَقِهِ فِي كِتَابٍ مُطَوَّلٍ

وَأَغْنَى بِمُعْنَى الْفَقْهِ مَنْ كَانَ بَاحِثًا ... وَعُمْدَتُهُ مَنْ يَعْتَمِدُهَا يُحْصِلُ

فَالْعُمْدَةُ لِعَتِمَادِكَ أَوَّلَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَتَفْقَهُ، ثُمَّ تَوْسَعُ فَتَأْتِي إِلَى الْكَافِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَتَطَوَّرُ وَتَعْلَمُ الْخِلَافَ أَيْنَ؟ مُعْنَى الْفَقْهِ، أَغْنَاكَ بِهِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ: "لَمْ تَطِبْ نَفْسِي بِالْفُتْيَا حَتَّى قَرَأْتُ أَوْ قَالَ: اقْتَنَيْتُ الْمُعْنَى"؛ هَذَا فِي ذَاكَ الزَّمَانِ.

وَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الْمَسْلُوكُ، فَكَيْفَ بِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَقْفِزَ إِلَى مَرْتَبَتِهِمْ وَيَتَسَنَّى مَنَزِلَتَهُمْ وَلَمْ يَرَقِّ السُّلْمَ الَّذِي رَقَوْا؟! أَتُرُونَهُ يَصِلُ؟! أَسَأَلُكُمْ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَّا أَتُرُونَهُ يَصِلُ؟! تَرَوْنَ هَذَا يَصِلُ؟! لَأَنَّا لَقْنَا مِنَ الصَّغَرِ:

فَإِنْ أَرَدْتَ رُقِيًّا نَحْوَ رُتَبَتِهِمْ ... وَرُمْتَ مَجْدًا رَفِيعًا مِثْلَ مَجْدِهِمْ

فَاعْمَدِ إِلَى سُلْمِ التَّقْوَى الَّذِي نَصَبُوا^(٤٨) ... وَاصْعَدْ بِجِدٍّ وَعَزْمٍ مِثْلَ عَزْمِهِمْ

وَفِي أَوَّلِهِ:

وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْتِثَاءَ لَهُ ... لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ قَدْرَ الْعِلْمِ لَمْ يَنْمَ

فَإِذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَدَّى لِهَذَا الْبَابِ أَوْ يُحَالَ عَلَيْهِ وَيُقَالَ لَهُ: "فَقِيهٌ" حَتَّى تَكُونَ الْخَشْيَةُ مُتَأَصِّلَةً فِي قَلْبِهِ، وَمُتَجَدِّدَةً فِيهِ، فَيَخَافُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَّا، فَلَا يَجْرُؤُ عَلَى الْفُتْيَا إِلَّا بَعْدَ مَا يَرَى مَخْرَجَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَفَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ (هَذَا الثَّانِي)، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَيش؟ يَعْرِفُ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ وَأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ، فَرُبَّمَا رَدَّ مَا هُوَ أَقْوَى مِمَّا فِي يَدِهِ أَوْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْ مِمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ؛ وَهَذَا بِسَبَبِ قُصُورِهِ.

^{٤٨} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "الْعِلْمُ الْخَشْيَةُ؛ الْبَارِحَةُ".

وعلى كلِّ حالٍ؛ لِنَعْلَمَ جَمِيعًا شَيْئًا وَاحِدًا رَدَّدَهُ الْعُلَمَاءُ يُعِينُنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَيَسْلُكُ بِنَا دَرْبَ النَّجَاةِ بِإِذْنِ اللَّهِ، يُقَالُ أَوْ يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ: طَالِبُ الْعِلْمِ (طَالِبُ الْعِلْمِ) الْمُتَمَكِّنُ إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ (طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَمَكِّنُ إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ) وَحَرَصَ عَلَى إِصَابَةِ الْحَقِّ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: فَهَذَا غَالِبًا اللَّهُ يُوفِّقُهُ.

هذه العباراتُ أو الجُمْلُ هكذا؛ طَالِبُ عِلْمٍ، مُتَمَكِّنٌ، يعني: عنده آلةُ الْعِلْمِ (هذا أوَّلًا)، إِذَا بَدَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ وَكَانَتِ النِّيَّةُ أَشْيَ؟ صَالِحَةً، عِلْمَ اللَّهِ أَنَّهُ يَرِيدُ إِصَابَةَ الْحَقِّ، فهذا يقولُ شيخُ الْإِسْلَامِ: غَالِبًا مَا يُوفِّقُ لِإِدْرَاكِ الْحَقِّ، فَاسْأَلِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْلُكَ بِنَا وَبِكُمْ جَمِيعًا هَذَا الْمَسْلَكَ وَأَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا.

إِذَا فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا السَّبِيلِ وَالسُّلُوكِ فِيهِ كَمَا سَلَكَ أَوَائِلُنَا، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرَ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَأَمْسَكَ النَّاسِ عَنِ الْفُتْيَا أَعْلَمُهُمْ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ.

[التَّعْلِيلُ]: هذا صحيحٌ، وهذا فائِدَتُهُ متى؟ حينما تَسْمَعُونَ أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَمَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ (الَّذِينَ أَشْرَنَّا إِلَى بَعْضِهِمْ)؛ يَقُولُ: الْمَسْأَلَةُ إِجْمَاعٌ! إِجْمَاعٌ! وَتَأْتِي وَإِذَا الْمَسْأَلَةُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ قَوْلٍ! مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْإِجْمَاعُ؟! مِنْ جَهْلِهِ، وَقِلَّةِ اطَّلَاعِهِ، جَاءَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَهْلِهِ وَقِلَّةِ اطَّلَاعِهِ، وَإِلَّا مَا الَّذِي يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ (كَمَا ذَكَرْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ عَنْ شَيْخِ إِسْلَامِ زَمَانِنَا الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ): "يُرَاجَعُ"، يَعِيبُنِي هَذَا؟! مَا يَعِيبُنِي، مَا يَعِيبُنِي أَبَدًا، بَلْ هَذَا الَّذِي يُبْرِئُ ذِمَّتِي عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ عِنْدَ مَنْ سَأَلَنِي، مَا الْمَانِعُ أَنْ آخُذَ سُؤَالَهُ وَأَحْطُهُ فِي جَيْبِي وَأَقُولَ لَهُ: بُكْرَةً؟! إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ مَانِعٌ بِأَنْ أَخْصَهُ بِالْجَوَابِ، لَا يَصْلُحُ أَمَامَ النَّاسِ؛ أَقُولُ لَهُ: بُكْرَةً، وَأُعْطِيهِ إِيَّاهُ بَعْدَ أَنْ أَرَى مَخْرَجِي فِي فُتْيَايَ، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ.

مَالِكُ يَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ: أَنَا جِئْتُ مَرْسُولًا إِلَيْكَ، مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ؟ قَالَ: رُحْ قُلْ لَهُمْ: مَالِكُ يَقُولُ: "لَا أَعْلَمُ" ! الله أكبرُ! "رُحْ" ! إِمَامُ الْمَدِينَةِ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ ! وَإِلَى الْيَوْمِ يُذَكِّرُ الْإِمَامُ مَالِكُ بِمَا نَعَرَفُهُ جَمِيعًا، يَعْنِي: الْإِنْسَانُ هَذَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَفِيزَهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ (لَا أَدْرِي)؛ قَالَ: مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ؟! أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ؟! قَالَ: رُحْ قُلْ لَهُمْ: مَالِكُ يَقُولُ: "أَنَا مَا أَدْرِي"!!! هَذَا صَعْبٌ؟! مَا هُوَ صَعْبٌ.

فَمَنْ اسْتَصْحَبَ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ "لَا أَدْرِي" بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ، وَنُبِّلَ عِنْدَ النَّاسِ، وَوُثِقَ النَّاسُ بِهِ، مَنْ قَالَ: "لَا أَدْرِي" بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ وَنُبِّلَ عِنْدَ النَّاسِ وَوُثِقَ النَّاسُ بِهِ، وَالثَّلَاثُ _أَهْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ_ كَسَرَ نَفْسَهُ، كَسَرَ الْعُجْبَ فِي نَفْسِهِ، فَالْعُجْبُ مُصِيبَةٌ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_، وَالْعُجْبُ شَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ، فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا.

وَكَسَرَ النَّفْسَ فِي هَذَا الْبَابِ بِأَنْ تَسْلُكَ بِهَا هَذَا السَّبِيلَ وتقول: "لَا أَدْرِي"، مَا تَدْرِي؟! أَنْتَ تَخَرَجْتَ مِنَ الْكَلِيَّةِ وَأَنْتَ مَا تَدْرِي؟! نَعَمْ، تَخَرَجْتَ مِنَ الْكَلِيَّةِ وَأَنَا "مَا أَدْرِي"، مَا فِيهِ مُشْكِلَةٌ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَالِمُ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، يَعْنِي: يَعْرِفُ الْأَحَادِيثَ، فَيَقْرَأُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَمَا مَعْنَاهُ، وَيَقِفُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْحَدِيثَ، وَهَذَا الْحَدِيثَ، فَيَعْرِفُ الْمُخْتَلَفَ وَالْمُؤْتَلَفَ، وَالْمَرْفُوعَ وَالْمَوْقُوفَ، وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ، وَيَعْرِفُ وَجُوهَ التَّعَارُضِ، وَجُوهَ التَّرْجِيحِ فِي التَّصْحِيحِ، وَيَعْرِفُ وَجُوهَ التَّعَارُضِ وَالتَّرْجِيحِ فِي الْفُتْيَا، هَذَا عَلَى أَصُولِ الْحَدِيثِ مَبْنِيٌّ (الْأَوَّلُ)، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَصُولِ الْفِقْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ مُكْنَةً فِي عِلْمِ آلَةِ آلَةِ إِتِبَاتِ الْعَرْشِ (الدَّلِيلِ)، كَيْفَ يُثْبِتُهُ؟ لِأَنَّ الْفَقْهَ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُتَوَاتِرٌ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ، مَعْرِفَةَ نَاسِخِهِ مِنْ مَنْسُوخِهِ، وَالتَّعَارُضِ فِي ذَلِكَ، وَأَوْجُهُ الْجَمْعِ؛ هَذَا لَا بَدَّ مِنْهُ، فَإِذَا لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا فِي الْأَصْطِلَاحِ يَعْرِفُ بِهِ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ؛ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَرِشُهُ مَبْنِيًّا عَلَى قَوَائِمِ ضَعِيفَةٍ (الَّذِي هُوَ الْفَقْهُ)، وَمَنْ كَانَ يَدْرِي الْحَدِيثَ صِحَّةً وَضَعْفًا وَلَا يُحْسِنُ الْاسْتِنْبَاطَ؛ فَهَذَا لَيْسَ بِفَقِيهِ

بَنَصُّ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَخْرُجُ بَعْضُ النَّاسِ، يَقُولُ: هَذَا يَطْعَنُ فِي الْمُحَدِّثِينَ!!! خِبْتُ وَخَسِرْتُ، وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَنْتَسِبَ إِلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ، كَيْفَ أَقُولُ هَذَا؟ هَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"، لَا يَفُوتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَجْرُ الْحَمَلِ وَالتَّبْلِيغِ وَالِإِسْمَاعِ وَالِإِقْرَاءِ، دَيْدَنُهُ ضَبْطُ الرَّوَايَةِ وَإِتْقَانُ الرَّوَايَةِ، وَالتَّفَقُّهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، هَذَا بَابٌ آخَرُ، لَكِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْحُسَيْنَيْنِ هُوَ الَّذِي قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْقَهُ مِنْهُ"، وَلِذَلِكَ حَفِظَكُمُ اللَّهُ فَازَ فُقَهَاءُ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِالْمُرْتَبَةِ الْعُلْيَا؛ أَحْمَدُ، وَشَيْخُهُ، وَشَيْخُ شَيْخِهِ مِنَ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ (أَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ وَمَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

وهكذا بَقِيَّةُ الْمُحَدِّثِينَ الْفُقَهَاءِ كَالْبُخَارِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَأَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهَ، وَعُدَّ... هَؤُلَاءِ فُقَهَاءُ أَهْلِ الْحَدِيثِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ نَذْكُرْ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ التَّمْثِيلُ، لَا الْحَصْرُ.

فَيَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: "وَهَلِ الْفَقْهُ إِلَّا الْحَدِيثُ؟! " فَالَّذِي لَا يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ مِثْلُ مَا قَالَ الْمُتَقَدِّمُ: "الْحَدِيثُ لَا يُتَبَيَّنُ فِقْهُهُ حَتَّى تُجْمَعَ طُرُقُهُ"، يَعْنِي: تَجْمَعُ الْأَفَاظُ، فَإِذَا جِئْتَ بِجَمْعِ الْأَفَاظِ رُبَّمَا وَجَدْتَ كَلِمَةً زَائِدَةً فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَغْنَتْكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّكْلُفَاتِ الَّتِي تَقُولُ فِيهَا: لَعَلَّ الْمُرَادَ كَذَا! لَعَلَّ الْمُرَادَ كَذَا! نَعَمْ.

[الْمَثْنُ]: وَعَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَجَسَرَ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ مَنْ فَقِهَ بِالْقُرْآنِ وَعَرَفَ مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ.

[التَّعْلِيلُ]: اللَّهُ أَكْبَرُ، نَعَمْ؛ لِأَنَّ الْفَقِيهَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْدَى عَدُوِّ الشَّيْطَانِ، يَعْرِفُ مَكَايِدَهُ، وَدَسَائِسَهُ، وَطُرُقَهُ، وَحِيلَهُ، فَيَحْمِي نَفْسَهُ بِحِمَايَةِ اللَّهِ لَهُ، ثُمَّ يَحْمِي غَيْرَهُ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي

حديثٍ وَفِيهِ ضَعْفٌ: "فقيهٌ واحدٌ أَشَدُّ على الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ"؛ وما ذلك إِلَّا لِأَنَّ الفقيهَ _كَمَا قُلْنَا_ يَعْرِفُ طَرَائِقَ الشَّيْطَانِ، ودَسَائِسَهُ، ومَكَايِدَهُ، فَيَحْذَرُهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِمَا قَدَفَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نُورِ الْعِلْمِ، فَيُحَارِبُ إبليسَ، وَيُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ مَكَايِدِهِ، ودَسَائِسِهِ، وَحَبَائِلِهِ، وَطَرَائِقِهِ.

فالفقيهُ هو مَنْ قرَأَ هذا الْكِتَابَ، وَتَفَقَّهَ فِيهِ، وَعَرَفَ مَكِيدَةَ إبليسَ، فَكَمَ وَكَمَ مَنْ يَصْطَادُهُمْ إبليسُ وَهُمْ قَتَلَى لَهُ؟! _عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ_، وَأَشَدُّ النَّاسِ على إبليسَ هم الْعُلَمَاءُ، هم خُلَفَاءُ الرُّسُلِ، خُلَفَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَرَثَتُهُ، وَحَمَلَةُ شَرِيعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ مَالِكٌ، قِيلَ لَهُ: لِمَنْ تَجُوزُ الْفَتَوَى؟ قَالَ: لَا تَجُوزُ الْفَتَوَى إِلَّا لِمَنْ عَلِمَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ، قِيلَ لَهُ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الرَّأْيِ؟ قَالَ: لَا، اخْتَلَفَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِمَ النَّاسُخَ وَالْمَنْسُوخَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَكَذَلِكَ يُفْتَى.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_ يَحْتُنَّا على شَيْءٍ بِدَلَالَةِ مَنْطُوقِهِ، وَشَيْءٍ بِدَلَالَةِ مَفْهُومِهِ، أَمَّا دَلَالَةُ الْمَنْطُوقِ فَإِنَّهُ يَحْتُنَّا (نَحْنُ، وَإِيَّاكُمْ، مَعَاشِرَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، إِخْوَانِي الْكِرَامُ) على أَنْ نَهْتَمَّ بِهَذَا الْجَانِبِ، جَانِبِ الْأَثَارِ، آثَارِ الصَّحَابَةِ، أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَاذَا نَهْتَمُّ بِالْآثَارِ الْمَوْقُوفَاتِ؟ لِنَعْرِفَ مَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَأَجْمَعُوا فِيهِ، وَنَعْرِفَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، نَعْرِفَ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَنَعْرِفَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَإِذَا أَجْمَعُوا؛ لَمْ يَسْعَنَا مُخَالَفَتُهُمْ (هَذَا أَوَّلًا)، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ: نَظَرْنَا فِي أَيِّهِمْ قَوْلُهُ أَرْجَحُ؟ وَهُوَ الَّذِي بِجَانِبِهِ الدَّلِيلُ.

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ _كَمَا تَعْرِفُونَ_ أَصُولُهُ مَبْنِيَّةٌ على هذا الْبَابِ بِنَاءً شَدِيدَ الْمُرَاعَاةِ، يَنْظُرُ إلى فَتَوَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَيَنْظُرُ إلى أَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ _رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، فَلِذَلِكَ كَانَ فِقْهُهُ دَقِيقًا، وَأَفْتَى فِي سِتِّينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ (كَمَا يُقَالُ): بِحَدَّثْنَا وَأَخْبَرْنَا! فَلَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي أَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ.

معنى ذلك: أنك لابد أن تنظر فيم؟ في الكتب التي تهتم بأثار الصحابة الواردة في هذا الباب، في باب الفقه، باب الأحكام.

ونحن أيضًا في هذا الوقت من فضل الله جلَّ وعلاً ومنه وكرمه بدأت تطلع كتب كثيرة في هذا الباب، فعلى طالب العلم علينا جميعاً (أنا أعد نفسي منكم)؛ علينا أن نعتني بهذا الجانب، ننظر؛ لأنك إذا قلت: الدليل كذا (تمام؟)، ثم سلطنا مسلك كتابين مشهورين عندنا في الفقه المذهبي: (كتاب المغني وكتاب المجموع)، بعد أن تقول: دليل كذا من القرآن، من السنة، تقول: وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، و... و... و...، وتعد من الصحابة، هذا ما هو موجود في هذه الكتب ولا لأ؟

فحينما تجد جلَّ الصحابة معك في هذه المسألة؛ ما أبرد ما يكون على قلبك، إذا وجدت الخلاف؛ نظرت فيه، فالجانب الذي فيه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (كبار فقهاء الصحابة)؛ هذا تأنس إليه، وهكذا، فإذن لابد من القراءة في هذا الباب.

وليُعلم أن اليوم شيئاً وغداً مثله من نخب العلم التي تلتقط، والإنسان يحصل قليلاً، قليلاً، وبإذن الله جلَّ وعلاً مع الصبر، والعمر (طول العمر)، والوقت، والاجتهاد؛ يحصل من غير ما مشقة على نفسه، فإذا أجهدنا انقطع، المهم أنه يشرع في هذا، ويستمر فيه.

وهذه الكتب (كما ذكرت، التي أشرنا إليها) الآن متوافرة، الكتب التي اهتمت بأثار الصحابة في الفقه هذه كتب نافعة جداً، فكون جامعياً تعنوا وتعبدوا وجرّدوا المصنفات الكبيرة والجوامع والموطّات والسُننَ والمسانيد وأخرجوا لنا هذه، وبوبوها؛ هذا عمل يُشكرون عليه، فما بقي لنا إلا أن ندخل هذه الجنان، وهذه الرياض، فنقتطف من ثمارها.

الشَّيْءُ الْآخِرُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا _مَعَشَرَ الْأَحْبَةِ_ مِنْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ فِي نَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ، وَلَوْ مُخْتَصَرًا.

الشَّيْءُ الثَّلَاثُ: هَكَذَا فِي نَاسِخِ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخِهِ وَلَوْ مِثْلَ لَامِيَّةِ الْمَنْسُوخِ الَّتِي قَرَأْنَاهَا قَبْلَ مُدَّةٍ فِي مَسْجِدِ بَنِي سَلَمَةَ.

فَيَحْسُنُ بِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْرِفَ الْآيَاتِ الَّتِي نَسَخَتْ وَالتِّي نُسِخَتْ، وَيَعْرِفَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي نَسَخَتْ وَالتِّي نُسِخَتْ، مِنْ كُتُبٍ _لَوْ أَقَلُّ شَيْءٍ_ مُخْتَصَرَةٍ (بِالْإِشَارَةِ)، فَيَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَيَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ، وَيَعْرِفُ الْحُكْمَ فَلَا يَبْنِيهِ عَلَى مَنْسُوخٍ، وَيَعْرِفُ النَّاسِخَ فَيَقُولُ بِهِ، فَلَا يَدْعُ النَّاسِخَ وَيَبْنِي عَلَى مَنْسُوخٍ، فَهَذِهِ دَلَالَاتُ الْمَنْطُوقِ.

هَذَا قَوْلُ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَقَارِنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَسَاهُلِنَا نَحْنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، كُلُّ وَاحِدٍ صَارَ يُرْجَعُ إِلَيْهِ !!! يُرْجَعُ إِلَى فُلَانٍ وَيُرْجَعُ إِلَى فُلَانٍ !!! أَطْفَالٌ وَفَرَارِيحُ !!! وَهَكَذَا، هَكَذَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ !!!

هَذَا مَالِكٌ، مَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي، لَمْ يَقُلْهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي، فَغَدَا يَأْتِي الْكَذَّابُونَ وَيَقُولُونَ: يَطْعَنُ !!! هَذَا كَلَامُ مَالِكٍ (مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ) وَكَلَامُ أئِمَّةِ الْإِسْلَامِ قَبْلَهُ، مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَالَ عَلَيْهِ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ، وَيُسْتَفْتَى، وَيُدْرَسَ عَلَيْهِ، وَيُقْعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، هَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَقُولَهُ.

أَمَّا مُجَرَّدُ أَنَّكَ تَأْتِي عِنْدِي أَوْ آتَيْ عِنْدَكَ (بِمُجَرَّدِ الْمَعْرِفَةِ) تُحِيلُ عَلَيَّ وَأُحِيلُ عَلَيْكَ !!! هَذَا مَا هُوَ صَحِيحٌ، لَيْسَتْ هَذِهِ النُّصِيحَةُ لِذَيْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَا لِعِبَادِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ مَا لَمْ يَكُنْ إِمَامًا فِي الْقُرْآنِ وَالْآثَارِ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْآثَارِ مَا لَمْ يَكُنْ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ.

[التعليق]: هذا هو؛ لأن كما قال الإمام أحمد، أقول: لأننا _ كما قال الإمام أحمد _ نريد الفقه؛

وهل الفقه إلا الحديث؟!

فلابد من معرفة الحديث؛ صحيحه من سقيمه، ومعرفة آثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة عنهم، فيحتمل لك الفقه.

وهذا الاعتناء من هؤلاء جميعاً وتواطؤهم على هذا القول؛ إنما هو لأجل أن الصحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم هم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وكانوا على الهدى المستقيم، أبر هذه الأمة قلوباً (هذه الصفة الأولى)، وأعمقها علماً، وأقلهم تكلفاً، وكانوا على الهدى المستقيم، وكانوا بعلم ينطقون، وعن بصر نافذ يكفون، إذا سكتوا ما سكتوا عجزاً، ولكن عن نور بصيرة، يعرفون ما أمامهم، فهذه الصفات الست في الصحابة رضي الله عنهم جاءت في أثر ابن مسعود، يضاف إلى ذلك ما ذكره أهل العلم ولهج به كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: هم عايشوا التنزيل، ورأوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أفصح الناس هم أفصح الناس، هم أفصح الناس، والفصيح والأفصح بينهم فرق، فإذا كانوا أفصح الناس فهم أعلم الناس بكلام من؟ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سمعوه منه وبمراده، وأعلم الناس بمراد الله جلّ وعلا في كتابه؛ لأنه أنزله بلغتهم رضي الله عنهم، وهم أنصح الناس للناس، فهذه صفات تضاف على ما سبق، فوجب أن يعتنى بآثارهم وأقوالهم رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

فإذا كان المرء كذلك فهذا هو الفقيه.

وأما مجرد النظر، ولا يعرف ماذا دلت عليه هذه النصوص؛ هذا لا يمكن أن يكون إماماً في الفقه، فهل الفقه إلا الحديث؟! لا يمكن أن يكون الفقه إلا قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم.

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأَسْ الشَّيَاطِينِ

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالْقُرْآنِ وَعَالِمًا بِالْأَثَارِ وَالْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ صَاحِبَ رَأْيٍ.

فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَذِهِ وَلَا يَدْرِي الْفِقْهَ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ قَارِئٍ وَمُجَرَّدُ رَاوٍ، مُجَرَّدُ قَارِئٍ وَمُجَرَّدُ رَاوٍ، الدَّلِيلُ لَكُمْ عَلَيَّ؛ أَمَّا مُجَرَّدُ قَارِئٍ: فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَا أَقَلُّ مَا يَفْقَهُونَ فِيهِ! مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ؟ الْخَوَارِجُ، وَهَكَذَا الْحَدِيثُ، إِذَا قَرَأَ الْحَدِيثَ وَلَمْ يَفْقَهُ فِيهِ؛ كَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِقْهٌ فَهُوَ قَارِئٌ (فِي الْقُرْآنِ)، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِقْهٌ (فِي الْحَدِيثِ) فَهُوَ رَاوٍ، مُجَرَّدُ حَامِلٍ، لَهُ أَجْرُ الْحَمَلِ، وَهَذَا لَهُ أَجْرُ الْإِقْرَاءِ وَتَلْفِينِ النَّاسِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا؛ لَأُ؛ بِدَلَالَةِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، فَالْخَوَارِجُ عَمَدُوا إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْكَافِرِينَ وَنَزَلُوهَا عَلَى مَنْ؟ عَلَى الصَّحَابَةِ (أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هَلْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى فَقْهِهِمْ؟! يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ، قَالَ لَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَرَى فِيكُمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ؟! فَكَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ؟! كَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ؟! كَيْفَ سَيَتَفَقَّهُونَ وَهُمْ تَرَكَوا الْوَاسِطَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبَيْنَ مَنْ نَطَقَ بِهِ السُّنَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَإِذَا إِذَا سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ وَهُوَ يَتَّقِنُ الْقِرَاءَةَ؛ فَهَذَا قَارِئٌ، مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالْفِقْهِ، بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ، وَإِلَّا الْأَصْلُ هُوَ التَّفَقُّهُ فِي هَذَا مَعَ الْقِرَاءَةِ {كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ^(٤٩) إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ^(٥٠)، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

^{٤٩} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: "كَمَا قُلْنَا الْبَارِحَةَ".

^{٥٠} _ ص (٢٩).

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ^(٥١)، فهذا هو الفقه في دين الله تبارك وتعالى، والحديث: سَمِعْتُمُوهُ.

فَإِذَا كَانَ يَدْرِي الرَّوَايَةَ وَلَا يَفْقَهُ؛ فَهُوَ مُجَرَّدُ حَامِلٍ وَرَاوِيَةٍ، لَهُ أَجْرُ النَّبْلِغِ، إِذَا كَانَ يَقْرَأُ وَيُحَسِّنُ الْقِرَاءَةَ وَلَا يَفْقَهُ؛ فَهُوَ مُقْرَأٌ (أَوْ: قَارِئٌ) وَلَيْسَ بِفَقِيهٍ.

فَعِنْدَكَ قَارِئٌ، وَعِنْدَكَ رَاوٍ، وَعِنْدَكَ مُحَدِّثٌ فَقِيهٌ، وَعِنْدَكَ فَقِيهٌ وَغَيْرُ مُحَدِّثٍ، فَقِيهٌ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمُحَدِّثٍ، لَا يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ، يَسْتَدِلُّ وَيَمْشِي، وَعِنْدَكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا أَقْلًا مَا يَكُونُ (هَذَا صَاحِبُ رَأْيٍ وَقِيَاسٍ)، وَهَذَا لَا يُهِمُّ أَنْ تَعْتَنِيَ بِآرَائِهِ وَأَقْوَالِهِ، إِنْ حَصَلَ (نَظَرْتُ فِيهَا)؛ كَانَ بِهَا.

فَالْمَعْرِفَةُ بِاخْتِلَافِ عُلَمَاءِ النُّصُوصِ عُلَمَاءِ الْوَحْيِ قُرْآنًا وَسُنَّةً، أَمَّا آرَاءُ الرِّجَالِ! الرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمَاجِشُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَكُونُ فَقِيهًا فِي الْحَادِثِ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالْمَاضِي.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا صَحِيحٌ، النَّوَزِلُ الَّتِي تَنْزِلُ لَا بَدَّ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى أَشْبَاهِهَا وَنَظَائِرِهَا، فَإِنْ وَجَدْتَ أَخَذْتَ بِمَا قِيلَ فِيهَا (وَنَظَرْتَ فِي أَحْكَامِ السَّابِقِينَ)، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِالْمَاضِي مِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَأَقْوَالِ أئِمَّةِ الْهُدَى مِنَ التَّابِعِينَ، أئِمَّةِ الْحَدِيثِ، الَّتِي بَنَوْهَا عَلَى هَذِهِ النُّصُوصِ، وَهَذَا هُوَ الْمَاضِي (الْعِلْمُ الْمَتِينُ، الْقَدِيمُ، الْعَتِيقُ).

دَعِ عَنْكَ مَا قَالَهُ الْعَصْرِيُّ مُنْتَحِلًا... وَبِالْعَتِيقِ^(٥٢) تَمَسَّكَ قَطُّ وَاعْتَصِمَ

^{٥١} _ التوبة (١٢٢).

مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرُ ... يَجْلُو بِنُورِ هُدَاهُ كُلُّ مُنْبِهِم

فالذي لَا يَعْرِفُ الْقَدِيمَ مَا يَعْرِفُ الْحَادِثَ، كَيْفَ يُفْتِي وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا تَقَدَّمَ مَعْنَا مِنْ أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، اخْتِلَافِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْآثَارِ الْوَارِدَةِ عَنْهُمْ فِي هَذَا؟!!! مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِذَاكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْجَدِيدِ، نَعَمْ.

ولهذا لَمَّا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: مَنْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ؟ صَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ؟ الْقِصَّةُ الَّتِي تَعْرِفُونَ، كُلُّهَا يَقُولُ: صَاحِبُكُمْ، قَالَ: فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَيْش؟ مَا بَقِيَ شَيْءٌ، مَا بَقِيَ إِلَّا الرَّأْيُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقْيِسُ؟!

فلا بد لك مِنْ مَعْلُومٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَالْمَعْلُومُ (كَمَا قُلْنَا) أَنْ تَعْلَمَ مَا مَضَى، تَعْلَمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاخْتِلَافَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقَدَّمَ، وَتَعْلَمَ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقَدَّمَ.

وَمِنْ أَمْتَعِ الْكُتُبِ فِي هَذَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ مَا أَعْلَمُ أَنَا فِيمَا أَعْرِفُ كِتَابٍ وَحْدَةً كَامِلَةً لَهُ نَظِيرٌ، نَعَمْ شَيْءٌ مِمَّا فِيهِ مَبْنُوثٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، لَكِنْ كِتَابٌ تَخَصَّصَ فِي هَذَا الْبَابِ؛ لَا أَعْلَمُ لَهُ نَظِيرٌ؛ كُتُبُ ابْنِ الْمُنْذِرِ، كُتُبُ ابْنِ الْمُنْذِرِ، كَالْأَوْسَطِ وَأَيْش؟ وَأَيْش؟ نَعَمْ، فَهَذِهِ الْكُتُبُ، بِالذَّاتِ الْأَوْسَطِ، أَنَا أَطْلُبُ مِنْ أَحِبَّتِي إِذَا وَجَدُوا وَقْتًا وَسَعَةً؛ يَأْخُذُ جُزْءًا مِنَ (الْمُغْنِي) وَجُزْءًا مِنَ (الْمَجْمُوعِ شَرْحِ الْمَهْدَبِ لِلنَّوَوِيِّ) وَيَأْخُذُ الَّذِي يُقَابِلُهُمَا فِي نَفْسِ الْمُبَاحِثِ مِنْ كِتَابِ أَيْش؟ ابْنِ الْمُنْذِرِ (الْأَوْسَطِ)، الْإِشْرَافُ مُخْتَصَرٌ، وَمَوْجُودُ جُزْءٍ مِنْهُ، لَيْسَ كُلُّهُ، فَيَأْخُذُ هَذَا، وَإِنْ وَجَدَ فِي الْقِطْعَةِ الْمَوْجُودَةِ مِنَ (الْإِشْرَافِ) الَّذِي هِيَ مُلَخَّصٌ؛ فَلْيَنْظُرْ فِيهِ، فَإِذَا فَرَّغَ صَاحِبُ الْمُغْنِي وَصَاحِبُ الْمَجْمُوعِ مِنْ ذِكْرِ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَجَاءَ إِلَى قَوْلٍ: وَهُوَ قَوْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، يَمْسِكُ لَهُ وَيَمْسِكُ مَعَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ، تَجِدُهُمْ يَأْخُذُونَهُ تَقْرِيْبًا بِالْحَرْفِ! وَهُمْ فِي هَذَا

^{٥٢} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مفسرا: "القديم".

البَابُ عَلَى حَسَبِ مَا قَارَنْتُ لَوْلَا ابْنُ الْمُنْذِرِ مَا رَاحَا وَلَا جَاءَا، يَأْخُذُونَ عَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ كَثِيرًا، فَهَذَا مَعَ إِمَامَتِهِمَا فِي هَذَا الْبَابِ (فِي الْفِقْهِ)، وَالْمُغْنِي أَكْثَرُ فَائِدَةً؛ لِأَنَّهُ أَتَى عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ جَمِيعَهَا، فَحَفِظَ لَنَا مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْمُنْذِرِ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ لَنَا مَنْ؟ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ النَّوَوِيَّ لَمْ يُكْمِلْ عَمَلَهُ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْمُغْنِي فَأَكْمَلَهُ كُلَّهُ، فَحَفِظَ لَنَا فِي الْكُتُبِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْأَبْوَابِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا النَّوَوِيُّ؛ حَفِظَ لَنَا فِي هَذَا قَدْرًا كَبِيرًا، وَرَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعًا.

فَالشَّاهِدُ: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ؛ شَفَّ هَذَيْنِ الْعَالِمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ كَأَنَّا يَعْتَمِدَانِهِ، وَيَنْظُرَانِ فِيهِ، وَيُرَاجِعَانِهِ، وَيَسْتَفِيدَانِ مِنْهُ كَثِيرًا، فَكَيْفَ بَنَّا نَحْنُ؟! فَإِذَا لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَكُونَ عَارِفِينَ بِهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَسَيَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَتَى يَسَعُ الرَّجُلُ أَنْ يُفْتِيَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْأَثَرِ، بِصِيرًا بِالرَّأْيِ.

[التَّعْلِيلُ]: (عَالِمًا بِالْأَثَرِ): بِحَيْثُ أَيش؟ يَبْنِي فَقْهَهُ عَلَى الدَّلِيلِ، وَ(بَصِيرًا بِالرَّأْيِ): يَعْرِفُ صَحِيحَ الرَّأْيِ مِنْ سَقِيمِهِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا كُنَّا نَدْعُو الرَّاوِيَةَ إِلَّا رَاوِيَةَ الشَّعْرِ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ لِلَّذِي يَرَوِي أَحَادِيثَ الْحِكْمَةِ إِلَّا عَالِمًا.

[التَّعْلِيلُ]: (الْحِكْمَةُ): يَعْنِي: السُّنَّةَ، (إِلَّا عَالِمًا): وَالْمُرَادُ بِهِ: الَّذِي رَوَى الْأَحَادِيثَ وَيَفْهَمُهَا، أَوْ يَكُونُ (عَالِمًا): بِمَعْنَى: حَافِظًا، يَكُونُ حَافِظًا، فَهُوَ عَالِمٌ بِالرَّاوِيَةِ وَإِنْ كَانَ فِي جَانِبِ الدَّرَايَةِ عِنْدَهُ قُصُورٌ (يَعْنِي: ضَعْفٌ) أَوْ انْعِدَامٌ؛ بِنَصِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حَامِلٌ فَقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ) وَ(حَامِلٌ فَقْهٍ إِلَى

مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)؛ فعندنا: (أَفْقَهُ وَفَقِيَهُ وَمَنْ لَيْسَ بِفَقِيهِ)، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهِمَا (بِالرَّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ)، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالرَّوَايَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ دِرَايَةٌ.

فَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ هَذَا الَّذِي عِنْدَهُ الرَّوَايَةُ وَالِدِّرَايَةُ هُوَ الْعَالِمُ، هُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْإِخْتِلَافَ أَنْ يُفْتِيَ، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَقَاوِيلَ أَنْ يَقُولَ: هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ.

[التعليق]: صحيح، القسم الأول تقدّم الكلام عليه لكن الثاني، قَوْلُكَ: "هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ": "أَحَبُّ" هَذَا بَابُ تَفْضِيلٍ، هَذَا حَبِيبٌ وَهَذَا أَحَبُّ، فَأَنْتَ إِذَا مَا كُنْتَ مَا تَعْرِفُ إِلَّا هَذِهِ الْحَبَّةَ؛ كَيْفَ تَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ)؟! مَا عِنْدَكَ إِلَّا حَبَّةٌ! هِيَ مَا فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ عِنْدَكَ! فَكَيْفَ تَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ)؟!!

"أَحَبُّ" إِنَّمَا يَأْتِي إِذَا كَانَ عِنْدَكَ أَكْثَرُ مِنْ مَحْبُوبٍ، تَقُولُ: هَذَا حَبِيبٌ وَهَذَا أَحَبُّ، فَالَّذِي لَا عِلْمَ عِنْدَهُ مَا يَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، لَأَ.

"أَحَبُّ إِلَيَّ": أَقَلُّ شَيْءٍ فِي الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ"، تَبْغِينَ كَذَا؛ جَائِزٌ، فِي الْمُسْتَحَاضَةِ، نَعَمْ، تَبْغِينَ كَذَا؛ جَائِزٌ، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ، فَأَقَلُّ شَيْءٍ اثْنَانِ.

فَأَنْتَ تَقُولُ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ) إِذَا عَرَفْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَقَاوِيلَ، أَقَلُّ شَيْءٍ اثْنَانِ، فَتَعْرِفُ وَجْهَ هَذَا، وَوَجْهَ هَذَا، وَإِذَا رَجَحْتَ وَأَظْهَرْتَ الدَّلِيلَ عَلَى رُجْحَانِ هَذَا؛ قُلْتَ: (هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَوْ ظَهَرَ لَكَ رُجْحَانُ مَنْ تَقَدَّمَكَ فِي الْمَسْأَلَةِ (قَدْ بَحَثَهَا)، وَرَأَيْتَ قَوْلَهُ هُوَ الصَّوَابُ، تَقُولُ: (أَفْتَى فُلَانٌ بِكَذَا، وَفُلَانٌ بِكَذَا؛ هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَوْ (الْمَسْأَلَةُ فِيهَا قَوْلَانِ، كَذَا، وَكَذَا، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ)، أَمَّا الَّذِي مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ؛ هَذَا مَا يَقُولُ: (أَحَبُّ)، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ مَنْ تَتَّبَعَ شَوَادَّ

الْحَدِيثِ، أَوْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، أَوْ حَدَّثَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

[التَّعْلِيلُ]: (لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ مَنْ تَتَّبَعَ شَوَادَّهُ): صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ مَنْ تَتَّبَعَ الشَّوَادَّ أَشْغَلَهُ ذَلِكَ

عَمَّ؟ عَنِ الْمَشْهُورِ، فَيَصِيرُ جَاهِلًا بِالَّذِي فِيهِ أَیْشٌ؟ فِيهِ النَّفْعُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَيَتَّبِعُ الشَّادَّ فَلَا يَسْتَفِيدُ، الشَّادُّ مَا يُبْنَى عَلَيْهِ إِلَّا الْأَقَاوِيلُ الشَّادَّةُ، هَذَا ضَيِّعٌ وَقْتُهُ، مَنْ اتَّبَعَ شَادَّ الْحَدِيثِ هَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا.

(أَوْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ): هَذَا أَيْضًا مَا يَكُونُ إِمَامًا، لَا بَدَّ أَنْ يَنْتَخِبَ، إِذَا حَدَّثَ يَنْتَخِبُ، مَا يُحَدِّثُ إِلَّا بِأَصَحِّ مَا سَمِعَ، وَهَكَذَا إِذَا حَدَّثَ؛ مَا يُحَدِّثُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، إِذَا جَمَعَ وَسَمِعَ؛ يَسْمَعُ مَا شَاءَ، لَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ؛ هُوَ الدِّينُ، لَا يَرَوِي إِلَّا عَنْ مِثْلِ هَذَا، فَلَا يَرَوِي دِينَ اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ إِلَّا عَنِ الضَّابِطِينَ، يَتَسَمَّحُ فِيمَا يَجُوزُ فِيهِ التَّسَمُّحُ، أَمَّا الَّذِي لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّسَمُّحُ فَلَا، إِذَا هَذِهِ ثَلَاثَةُ جَوَانِبَ، فِيهِ الْأَوَّلُ: الْحَثُّ عَلَى حِفَاطِكَ عَلَى الْوَقْتِ، فَلَا تُذْهِبُهُ فِي اتِّبَاعِ الشَّوَادِّ مِنَ الْعِلْمِ.

وهذا نراه الآنَ عندَ بعضِ طلبَةِ الْعِلْمِ سَامَحَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، يُضَيِّعُ وَقْتَهُ فِي شَوَادِّ الْمَسَائِلِ وَغَرَائِبِ الْمَسَائِلِ وَهُوَ مَا أَتَقَنَّ أَهَمُّ أَبْوَابِ الْفِقْهِ! فَهَذَا مُصِيبَةٌ، يَضَيِّعُ عَلَيْهِ الْوَقْتُ، (أَوْ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ): كُلُّ الَّذِي يَرَوِيهِ أَوْ يَجْمَعُهُ؛ يُحَدِّثُ بِهِ وَلَا يُبَالِي!!! فَإِنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ رَبِّمَا نُسِبَ إِلَى الْكَذِبِ، يَرَوِي الْأَكَاذِيبَ وَهُوَ لَا يَدْرِي! هَذِهِ مُصِيبَةٌ أُخْرَى، وَقَدِيمًا قِيلَ: (إِذَا سَمِعْتَ فَقَمِّشْ، وَإِذَا حَدَّثْتَ فَفَتِّشْ)، يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُلْقِيَ عَلَى النَّاسِ، هَؤُلَاءِ أَمَانَةٌ فِي ذِمَّتِكَ، خُصُوصًا فِي مِثْلِ الْأَزْمَانِ الْمُتَأَخَّرَةِ الَّتِي مَا يَعْرِفُونَ فِيهَا بِالْأَسَانِيدِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَنْصَلَ لَهُ عَلَى الصَّحِيحِ، أَوْ إِذَا جَلَسْتَ فِي مَجْلِسِ دَرْسٍ أَوْ وَعَظٍ؛ لَا بَدَّ أَنْ تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الضَّعِيفِ إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ، أَوْ جَرَى عَلَى لِسَانِكَ، لَا بَدَّ تُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ، فَلَا يَنْخَدِعُوا؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يُخَدِّعُ بِالْعَالَمِ، يَأْتِي الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ عَلَى لِسَانِهِ أَوْ الضَّعِيفُ جَدًّا وَرَبَّمَا رَوَى

”الموضوع“ وهو لا يَعْلَمُ، غَفْلَةً أَوْ سَبَقَتْ بِهِ لِسَانُهُ، أَوْ حَسَنَ الظَّنَّ بِفُلَانٍ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مِنَ الْعَارِفِينَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، فَيَسْتَدِلُّ بِهِ، فَالنَّاسُ يُقْلِدُونَهُ، ويقولُ: لو كان هذا الحديث ما هو عَنِ النَّبِيِّ ما قَالَهُ الشَّيْخُ فُلَانٌ؟!!! صَحَّ وَلَا لَأَ؟ فيصيرون فِي ذِمَّتِكَ، هذا رَدُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، إِذَا جِئْتَ إِلَيْهِ؛ تَقُولُ: هذا الحديث ضعيفٌ، قال: الشَّيْخُ فُلَانٌ يَقُولُهُ!!! طَيِّبٌ، الشَّيْخُ فُلَانٌ قَالَهُ لَأَيَّ عُذْرٍ مِنَ الْأَعْذَارِ؛ لَعَلَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مَعْذُورٌ، أنا ما أنا مَعْذُورٌ، أَنْتَ الْآنَ الَّذِي أَنَا أَقُولُ لَكَ: هذا ضعيفٌ، ما يَصِحُّ الْأَخْذُ بِهِ؛ ما يجوز لك أَنْ تَحْتَجَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ الْوَاهِيَةِ.

لَكِنْ إِذَا كَانَ طَالِبَ عِلْمٍ؛ هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ، أَمَّا الْجَاهِلُ هَذَا تَتَعَبُ مَعَهُ، كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ حِينَمَا قُلْنَا لِبَعْضِهِمْ: هذا ضعيفٌ، لَا يَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، قال: كَيْفَ ضَعِيفٌ وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!! يعني: مُجَرَّدُ ”قَالَ النَّبِيُّ“؛ خَلَّاصٌ صَحِيحٌ! هذا سَمِعْتُهُ أَنَا بِأَذْنِي، فَصَدَّقَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما نَظَرْتُ عَالِمًا إِلَّا غَلَبْتُهُ؛ لِأَنِّي أَنَا وَإِيَاهُ نَعْرِفُ الْبِضَاعَةَ، بِضَاعَةَ الْعِلْمِ، أَنَا وَإِيَاهُ بَيِّنْنَا قَوَاعِدَ وَأُصُولَ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، أَمَّا الْعَامِيُّ الْجَاهِلُ ما تَسْتَطِيعُ، يَأْتِي بِكَلِمَةٍ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْأَخْذِ وَالرَّدِّ وَالْعَطَاءِ مَعَهُ؛ لِأَنَّكَ أَنْتَ فِي بَابٍ وَهُوَ فِي بَابٍ، أَنْتَ فِي وَادٍ وَهُوَ فِي وَادٍ آخَرَ، فَهَذَا لَا تَتَعَبُ نَفْسَكَ مَعَهُ، فَالسُّكُوتُ أَوْلَى، بَعْضُ النَّاسِ يَظُنُّونَ سَكَتَ عَجْزًا! لَا ما هُوَ عَجْزٌ، تَوْفِيرًا لِلْوَقْتِ، هذا كم سَتَجْلِسُ مَعَهُ حَتَّى تُقْنِعَهُ؟! ما فِيهِ قَاسِمٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، هُوَ جَاهِلٌ، فِي أَحْطَ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْجَهْلِ، وَأَنْتَ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ مِنَ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْسَنُ شَيْءٍ أَنْ تَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي قَالَهَا الْعُلَمَاءُ، الْجَاهِلُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْحُجَّةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِهَا، ما يُخَاطَبُ بِالْحُجَّةِ؛ لِأَنَّهُ ما يَعْرِفُ يَسْتَنْبِطُ وَلَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي مَعَكَ بِالْقَوَاعِدِ، هذا أَنْتَ ما تُخَاطِبُهُ، تُعْرِضُ عَنْهُ وَبَسْ، أَخَذَ؛ كَانَ بِهَا، مَا أَخَذَ؛ هُوَ لَهُ عَقْلٌ وَاللَّهُ سَيَتَوَلَّاهُ، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْإِخْتِلَافَ فَلَا تُعَدُّهُ عَالِمًا^(٥٣)، وَعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ عُقْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْرِفُ اخْتِلَافَ النَّاسِ^(٥٤)، وَعَنْ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَسَلُّوهُ.

[التَّعْلِيْقُ]: يعني: يَأْتِي الْأَمْرَ عَلَى عِلْمٍ؛ (يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي): بمعنى: أَنَّهُ يَأْتِي الْأَمْرَ عَلَى بَيِّنَةٍ، فَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ، اسْأَلُوهُ، نَعَمْ.

[الْمَنْثَنُ]: وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي، فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَعَلَّمُوهُ.

[التَّعْلِيْقُ]: هَذَا صَحِيحٌ، هَذَا مَا تَتَعَبُّ مَعَهُ أَيْضًا، الْجَاهِلُ الْبَسِيطُ مَا تَتَعَبُّ مَعَهُ، تَقُولُ لَهُ هَذَا؛ يَقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ هَذِهِ غَايَةُ عِلْمِي، فَعَلَّمَنِي، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا فَعَلَّمَنِي، فَأَنْتَ تُعَلِّمُهُ وَتُرْسِدُهُ، هُوَ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ أَيش؟ يَجْهَلُ، فَهَذَا يُرِيحُكَ، لَكِنِ الْمَشْكَالَةُ حِينَئِذَا "لَا يَدْرِي..." الَّذِي سَيَأْتِيْنَا، هَاتِ.

[الْمَنْثَنُ]: وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَذَلِكَ عَاقِلٌ فَنَبِّهُوهُ.

[التَّعْلِيْقُ]: هَذَا جَيِّدٌ، هَذَا يَدْرِي، لَكِنْ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَدْرِي أَنَّهُ أَيش؟ نَعَمْ، فَهَذَا عَاقِلٌ، هُوَ يَدْرِي وَيَعْلَمُ وَلَكِنْ لَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي، فَهَذَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ الزَّلَّةُ فَأَنْتَ أَيش؟ تُنَبِّهُهُ، فَسُرْعَانَ مَا... وَهَذَا الَّذِي قِيلَ فِيهِ: "اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَارْجُوا فَيئُتُهُ"، قَرِيبُ الرُّجُوعِ، نَعَمْ، إِذَا نَبَّهْتَهُ وَبَيَّنْتَ لَهُ قَالَ: "أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَنَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَكَ كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ"، هَذَا يَدْرِي، فَإِذَا وَقَعَ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ يَدْرِي أَنَّهُ هُنَا أَخْطَأَ إِذَا أَبَيَّنْتَ لَهُ بِالْذَّلَالِ، نَعَمْ.

^{٥٣} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى: "تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، نَعَمْ".

^{٥٤} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ تَعَالَى: "أَيْضًا تَقَدَّمَ، كُلُّهُ، نَعَمْ".

[الْمَنْنُ]: وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي، فَذَلِكَ مَا نَقُّ فَاحْذَرُوهُ.

[التَّعْلِيْقُ]: فهذه هي المصيبة، هذه هي المصيبة، الذي لا يدري ولا يدري أَنَّهُ لَا يَدْرِي.

إِذَا كُنْتُ لَا تَدْرِي وَلَسْتُ كَمَنْ دَرَى ... فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي

هذا هو، فهذا هو الجاهل المركب، هذا مصيبتك معه مصيبة، وتعبك معه تعب عظيم؛ لِأَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ لَكَ بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي، وهو في أَحْطَ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْجَهْلِ، ولكنه كما يُقَالُ: أَحْمَقُ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْبَابِ؛ الذي قال فيه:

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ تُوْمَا ... لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ

لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

فهذا الذي يكون بهذا الوصف حَقُّهُ أَشَى؟ يُحَذِّرُ، وَلَا يُرْجِعُ إِلَيْهِ، وَلَا يُؤْخِذُ عَلَيْهِ، وَلَا يُتَلَقَّى عَنْهُ، وَلَا يُفَعَّدُ إِلَيْهِ، هذا هو الجاهل جهلاً مُرَكَّباً، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ أَخَذَ بِالشَّاذِّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

[التَّعْلِيْقُ]: نَعَمْ، هذا في مسألة الحديث، نَعَمْ، لا بد أن يختارَ في الرَّوَايَةِ، ما يأخذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ فَإِنَّ الاختيارَ في الرَّوَايَةِ، في المشايخ، في الشُّيُوخِ؛ هذا مِمَّا يُمدِّحُ به الرَّجُلُ، وَمِمَّا يُنْتَنَى به عليه.

بل تُسَلِّمُ إِلَيْهِ بِهِ الْإِمَامَةُ كَمَا قَالُوا فِي أَبِي دَاوُدَ.

بَلْ وَبِتَعَدَّى نَفْعُهُ إِلَى غَيْرِهِ، يُوثَّقُ بِهِ مَنْ رَوَى عَنْهُمْ؛ يَقُولُونَ: (رَوَى عَنْ هَذَا أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ لَا يَرَوِي إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ)؛ فَتُشَرِّجَالُ أَبِي دَاوُدَ مَا وَجَدُوا فِي شُيُوخِهِ ضَعِيفًا، عَدَدٌ قَلِيلٌ جِدًّا مَا وَجَدُوا فِيهِمْ كَلَامًا

إِلَّا مُطْلَقَ الرِّوَايَةِ لِأَبِي دَاوُدَ عَنْهُمْ، فَصَارَتْ بَرَكَةٌ مِنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُمْ (رِوَايَتُهُ عَنْهُمْ) وَلَا لَأ؟ صَارَتْ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ... وهكذا أَمْثَالُهُ الَّذِينَ لَا يَرَوُونَ إِلَّا عَنِ الثَّقَاتِ، صَارَتْ رِوَايَتُهُمْ عَنْهُمْ بَرَكَةٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَخَيَّرُونَ فِي الشُّيُوخِ، فَالْأَخْذُ عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ هَذَا طَعْنٌ.

والتَّحْدِيثُ أَيْضًا فِي هَذَا؛ كَذَلِكَ يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ، فَلِهَذَا كَانَ مَمْدَحَةً لِمَنْ يَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلَكَ؛ إِذَا رَوَى فَإِنَّهُ لَا يَرَوِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا (إِنَّمَا) يَرَوِي عَنِ الثَّقَاتِ الَّذِينَ يُحْتَجُّ بِهِمْ، هَذَا تُسَلِّمُ لَهُ الْإِمَامَةُ، أَمَّا غَيْرُهُ: يَبْقَى مُجَرَّدَ رَاوٍ.

وَتَعْرِفُونَ أَيْضًا الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمْ مِنْ رَجُلٍ انْتَقَدَ وَهُوَ فِي صَحِيحِهِ؟ أَصْبَحَ مُجَرَّدَ إِدْخَالِ الْبُخَارِيِّ لَهُ فِي الصَّحِيحِ بَرَكَةٌ عَلَيْهِ وَلَا لَأ؟ بَرَكَةٌ عَلَيْهِ وَلَا لَأ؟ حَتَّى جَاءَتْ عِبَارَةُ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورَةِ: (هَذَا مِنْ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ وَقَدْ جَاوَزَ الْقَنْطَرَةَ)؛ يَعْنِي: حَتَّى لَوْ تَكَلَّمْتُمْ فِيهِ؛ خَلَّاصٌ، أَصْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ أَيْش؟ مَقْبُولًا، لَمْ؟ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي كِتَابٍ مَنْ اشْتَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرْطَ الَّذِي نَعْرِفُهُ وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا، فَكَانَ بَرَكَةً عَلَيْهِمْ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وهذا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ التَّوْثِيقَ الضَّمْنِيَّ، يَعْنِي: مَا نَصَّ عَلَى تَوْثِيقِهِ، لَكِنْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ يَحْتَجُّ بِهِ، فَلَوْ لَمْ يَرِ هَذَا حُجَّةً وَوَجَدْنَا شَرْطَهُ أَيْضًا مُوَفَّقًا فِيهِ طَبَقَهُ؛ مَا قُبِلَ هَذَا، فَهَذَا الَّذِي يُقَالُ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ.

الَّذِي يَأْتِي فِي هَذَا الْجَانِبِ وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا؛ لَا يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ.

وَلِذَلِكَ أَخَذُوهَا فِي الْوَجْهِ الْآخَرِ طَعْنًا، قَالُوا: فَلَا يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ عِبَارَاتِ الْمُحَدِّثِينَ فِي كُتُبِ الْجَرَحِ؟! يَرَوِي عَمَّنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ؛ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا، يَكُونُ رَاوِيًا؛ نَعَمْ، لَكِنْ

إِمَامًا؟! لَأَ، فَرَّقُ الْآنَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ وَبَيْنَ أَيْشٍ؟ مُجَرَّدِ الرَّوَايَةِ، ارْوَ، ارْوَ، لَكِنْ عِنْدَ التَّحْدِيثِ وَالتَّصْنِيفِ لَا تَرَوِي إِلَّا عَمَّنْ؟ عَنِ الَّذِي يَصْلُحُ أَنْ يُرَوَى عَنْهُ.

فَالشَّاهِدُ: لَا يَكُونُ فِي الْعِلْمِ إِمَامًا مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ: يَعْنِي: عَنْ كُلِّ مَنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَلَا يَكُونُ فِي الْعِلْمِ إِمَامًا أَيُّضًا مَنْ رَوَى كُلَّ مَا سَمِعَ؛ كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ أَيُّضًا فِي الْحَدِيثِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ.

[التَّعْلِيلُ]: نَعَمْ، هَذَا الْآنَ _مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ_ مِيزَانٌ، مِيزَانٌ دَقِيقٌ وَجَمِيلٌ لَنَا نَحْنُ فِي تَعَامُلِنَا مَعَ مَنْ؟ مَعَ الْعُلَمَاءِ، اسْمَعُوا _حَفِظَكُمُ اللَّهُ_، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ؛ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نُقْصَانُهُ؛ ذَهَبَ فَضْلُهُ.

[التَّعْلِيلُ]: هَذَا هُوَ الْمُهْمُ، تَرِيدُونَ عَالِمًا مَا يُخْطِئُ؟! هَذَا يُمَكِّنُ؟! مَا يُمَكِّنُ، اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَمَالِكٌ: الْآنَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا تَعْرِفُ مَالِكًا، لَكِنَّ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مَا يَعْرِفُهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ وَطُلَّابُ الْعِلْمِ، هَؤُلَاءِ شَرِيحَةُ مِنَ النَّاسِ، أَمَّا مَالِكٌ يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ أئِمَّةٍ... يَكْتُبُ هَذَا: (مَا خَالَفَ فِيهِ مَالِكٌ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَرْسَلَ بِهَا نَصِيحَةً، وَمَا شَنَّ عَلَيْهِ مَالِكٌ، وَلَكِنْ مَقْصُودُنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا يُوجَدُ عَالِمٌ مَا لَهُ خَطَأٌ، مَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَيُخْطِئُ، وَهَذَا كُلُّ

الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: مَالِكُ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا مِنَّا إِلَّا رَأْدٌ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، هَذَا الْإِمَامُ مَالِكُ نَفْسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالْمِيزَانُ فِي هَذَا السَّلِيمِ: هُوَ مَا مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا فَاضِلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، عِنْدَهُ نَقْصٌ، عِنْدَهُ خَطَأٌ، فَمَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ؛ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ، هَذَا الَّذِي يَكُونُ خَطْوُهُ مَغْمُورًا فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَإِصَابَتِهِ، هَذَا خَطْوُهُ مَغْمُورٌ فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَفَضْلِهِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ.

الآن الْعَالَمُ يَزِلُّ زَلَّةً وَهُوَ عَالَمٌ مِنْ عِلْمَاءِ السُّنَّةِ، زَلَّةٌ! وَقَدْ يَكُونُ هُوَ مَعْذُورٌ فِيهَا؛ يَنْسِفُونَ بِهِ الْأَرْضَ نَسْفًا فِي هَذَا الْوَقْتِ!! وَمَنْ يَتَجَرَّأُ؟ انْظُرْ إِلَى الْمُتَجَرِّئِ وانْظُرْ إِلَى الْمُتَجَرَّأِ عَلَيْهِ؛ الْمُتَجَرَّأُ عَلَيْهِ تَسْعُونَ، وَالْمُتَجَرِّئُ عِشْرُونَ!! هَذَا سَفَهٌ.

لَكِنْ انْظُرْ لِأَبُو ثَمَانِينَ وَأَبُو سَبْعِينَ مَعَ هَذَا؛ يَقُولُ لَكَ بِهَذَا الْقَوْلِ؛ يَقُولُ لَكَ: الْعَالَمُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الزَّلَّةُ لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ، وَلَا يَغْفِرُ لَكَ؛ لِأَنَّهُ بَدَلٌ وَسَعَةٌ وَاجْتِهَادٌ، فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَأْجُورٌ، وَمَغْفُورٌ لَهُ، لَكِنْ أَنْتَ؟ لَأَنْ تَعْلَمَ خَطَاةً؛ مَا أَنْتَ مَعْذُورٌ، إِذَا زِدْتَ وَنِلْتَ مِنْهُ جَاءَتْكَ سَيِّئَةٌ أُخْرَى، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

فَإِذَا هَبَ لِي عَالِمًا لَا يُخْطِئُ، مَا فِيهِ عَالِمٌ إِلَّا وَيُخْطِئُ، لَكِنَّ الْمِيزَانَ هُوَ هَذَا؛ مَنْ كَانَتْ أَخْطَاؤُهُ مَغْمُورَةً فِي بَحْرِ إِصَابَتِهِ وَفَضْلِهِ وَحَسَنَاتِهِ؛ وَهَبَ هَذَا النِّقْصُ الْيَسِيرُ لِلْفَضْلِ الْكَثِيرِ.

أَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نُقْصَانُهُ؛ فَهَذَا ذَهَبَ فَضْلُهُ، فَكَيْفَ يَمُنُّ لَا فَضْلَ لَهُ!!! تَوَهُ يَحْبُو، فَرُوحٌ، فَرُوحٌ بَدَأَ يَصْبِيحُ، تَوَهُ طَلَعَ مِنَ الْبَيْضَةِ، صَوْتُهُ مَا يَصِلُ إِلَى الْجِدَارِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ!!! هَذَا حَتَّى مَا تَقُولُ: يَهَبُ هَذَا لِهَذَا مِنْهُ، مَا عِنْدَهُ إِلَّا جَانِبٌ وَاحِدٌ؛ تَتَّبِعُ الزَّلَّاتِ!!!

وهذا بلاءٌ عظيمٌ _مَعْشَرُ الْأَحِبَّةِ_، يُحْرَمُ المرءُ به بَرَكَةُ التَّحْصِيلِ، والله ما يُحْصَلُونَ عِلْمًا، والله ما يُحْصَلُ عِلْمًا مَا دَامَ يَسْلُكُ هذا الطَّرِيقَ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي إِلَامٌ؟ يَأْتِي إِلَى النَّتِيجَةِ الَّتِي يَسْتَخْلِصُهَا؛ هذا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ، وَهَذَا فِيهِ... ما عَادَ فِيهِ أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ أَيْشٌ؟ يُطْلَبُ عَلَيْهِ، إِذَا أَيْنَ يُطْلَبُ الْعِلْمُ؟! انْتَهَى، عَلَى قَوْلِ ذَلِكَ الْقَائِلِ تَهَكُّمًا، تَهَكُّمًا: إِنِّي دَخَلْتُ الْيَمَنَ (بِلَادَ الْيَمَنِ) وَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ، أَحْسَنَ مَنْ فِيهَا أَنَا!!! كُلُّ الَّذِينَ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبِلَادِ الْأَصْلِيِّينَ مَا فِيهِمْ وَلَا وَاحِدٌ حَسَنٌ!!! كُلُّهُمْ قَبِيحُونَ إِلَّا حَضْرَتَهُ (هُوَ الَّذِي دَخَلَ)، هذا هُوَ أَحْسَنُهُمْ، فهذا الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ يَسْتَحِقُّ هذه المقالةَ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ بهذه النُّظْرَةِ يَسْتَحِقُّ مقالةَ هذا الْأَخِ الْقَائِلِ، وَأَنَا أَعْرِفُهُ، وَقَالَهَا لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَيَسْتَاهِلُونَهَا، وَيَسْتَاهِلُونَهَا، نَعَمْ.

فالشَّاهِدُ: الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ الْفَضْلُ الْكَثِيرُ وَالْخَيْرُ الْوَفِيرُ وَيُخْطِئُ أخطاءَ سِيرَةٍ قَلِيلَةٍ هُوَ مَعْذُورٌ فِيهَا؛ هذه تُغْمَرُ فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِ وَإِصَابَاتِهِ، فهذا الَّذِي يُقَالُ: يُوهَبُ مِنْهُ هذا لِذَاكَ؛ كَأَخِيكَ الْفَاضِلِ الصَّالِحِ الَّذِي آخِيَّتُهُ وَعَاشِرَتُهُ، زَلَّ زَلَّةً أَلَا تَهَبُّهَا لِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ؟!!!

هَكَذَا الْعُلَمَاءُ؛ أخطأ، فَيُنْظَرُ إِلَى صَوَابِهِ وَفَضْلِهِ، فَإِذَا غَمَرَ؛ وَهَبَ هذا الْقَلِيلُ الَّذِي لَا يَكَادُ يُذْكَرُ لِبَحَارِ فَضْلِهِ وَحَسَنَاتِهِ، أَمَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ؛ فهذا ما عِنْدَهُ شَيْءٌ، ذَهَبَ فَضْلُهُ كُلُّهُ.

وهذا الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ دَائِمًا: (إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ)، يَعْنِي: يُعْبَرُ بِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ مَعَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الَّتِي أُخِذَتْ عَلَيْهِمْ هَنَا، حِينَما يَسْتَعْرِضُ تَرْجَمَتَهُ الْجَمِيلَةَ، وَجِدَتْ عِنْدَهُ أخطاءٌ؛ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَسْلَمُ وَإِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ.

فهكذا الْعَالِمُ إِذَا ذَاعَ خَيْرُهُ وَعَمَّ نَفْعُهُ وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ نَفْعُهُ، هذا الَّذِي يُقَالُ فِيهِ هذا الْقَوْلُ.

وهكذا أَخُوكَ (كما قُلْتُ لَكُمْ)؛ أَخُوكَ الَّذِي تُؤَاخِيهِ وَتُصَافِيهِ، الدَّهْرُ كُلُّهُ مَا تَرَى مِنْهُ إِلَّا أَيْشٌ؟ كُلُّ خَيْرٍ، فَهَذَا هَفْوَةٌ، فَتُوَهَّبُ هَذِهِ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ؛ لِمَاذَا؟ لِلْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي فِيهِ، وَكُلُّ أَمْرٍ فِيهِ وَفِيهِ، فَدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَاحْمِلْ غَنَّهُ لِسَمِيْنِهِ؛ السَّمْنُ كُلُّهُ قَدْ اسْتَمْتَعَتْ بِهِ مِنْهُ؛ رَأَيْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ، رَأَيْتَ حُسْنَ الْعِشْرَةِ، رَأَيْتَ طَيْبَ الْمَعْشَرِ، رَأَيْتَ صِدْقَ الْكَلَامِ، رَأَيْتَ الْوَفَاءَ، رَأَيْتَ الْبَذْلَ، رَأَيْتَ السَّمَاحَةَ، رَأَيْتَ النَّدَى، رَأَيْتَ الْكَرَمَ، رَأَيْتَ الشَّجَاعَةَ، رَأَيْتَ الصِّدْقَ، رَأَيْتَ كُلَّ مَا... الْإِيثَارَ؛ فَأَخْطَأَ مَرَّةً، يَقِينًا أَخْطَأَ، أَلَا تَهَبُ هَذَا لِذَلِكَ كُلِّهِ؟! هَبْ غَنَّهُ (هَذِهِ الزَّلَّةُ) لِسَمِيْنِهِ (الَّذِي قَدْ ذُقْتَهُ مِنْهُ)، بِهِذَا تُسْتَدَامُ الصُّحْبَةُ مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ.

وهكذا بهذا يُحْفَظُ لِلْعُلَمَاءِ مَكَانَتُهُمْ _حَفِظَكُمْ اللهُ_، وَيَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا، وَأَنْ نَحْذَرَ مِنْ ضِدِّهِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يَسْلَمُ الْعَالِمُ مِنَ الْخَطَا، فَمَنْ أَخْطَأَ قَلِيلًا وَأَصَابَ كَثِيرًا فَهُوَ عَالِمٌ، وَمَنْ أَصَابَ قَلِيلًا وَأَخْطَأَ كَثِيرًا فَهُوَ جَاهِلٌ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ: لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيهِهِ مُعْلِنٍ السَّفَهَةِ.

[التَّعْلِيْقُ]: (سَفِيهِهِ مُعْلِنٍ السَّفَهَةِ): لَا يَسْتَحْيِي، هَذَا مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، سَفِيَهُهُ مُعْلِنُ السَّفَهَةِ هَذَا لَا يَسْتَحْيِي، مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، فَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا عَنْ مَنْ؟ عَنْ الْعَدْلِ، وَالْعَدْلُ هُوَ مَنْ تَوَقَّرَتْ فِيهِ عَدَالَةُ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ، فَالَّذِي أَعْلَنَ السَّفَهَةَ هَذَا مَخْرُومُ الْمُرُوءَةِ، فَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَصَاحِبُ هَوًى يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ.

[التَّعْلِيْقُ]: وهكذا صَاحِبُ الْهَوَى الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْهَوَى، إِلَى الْبِدْعَةِ، لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ عَلَى دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَّ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ.

[التَّعْلِيلُ]: انظُرُوا يَا نَاسُ، هَذَا الْآنَ فِي بَابِ الشَّرْعِ، وَلَكِنَّهُ هُوَ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ، فِي حَدِيثِ مَنْ؟ حَدِيثِ النَّاسِ، مَا هُوَ فِي الشَّرْعِ، لَكِنْ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، مَا هُوَ فِي شَرْعِ اللَّهِ؟ مَا عُرِفَ عَنْهُ الْكَذِبُ، لَكِنْ مَعْرُوفٌ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، طَيِّبٌ، هَاتِ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[التَّعْلِيلُ]: هَذَا لَا يُوْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ وَلَوْ أَعْطَوْهُ أَلْفَ شَهَادَةٍ، وَلَوْ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفَا إِجَازَةٍ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَلَاثَةَ أَلْفِ تَرْكِيبَةٍ؛ وَهُوَ كَذَّابٌ مَا يَنْفَعُهُ، أَلْفُ شَهَادَةٍ وَأَلْفَا إِجَازَةٍ وَثَلَاثَةُ أَلْفِ تَرْكِيبَةٍ؛ مَا تَنْفَعُهُ وَهُوَ كَذَّابٌ، لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، الْكَذَّابُ لَا يُؤْمَنُ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْكَذَّابِ، فَكَيْفَ نَقَاوَةُ النَّاسِ وَهُمْ طُلَّابُ الْعِلْمِ؟! كَيْفَ يَجْلِسُونَ إِلَى الْكَذَّابِ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ الْعِلْمَ؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ.

وَدَعَ الْكَذُّوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إِنَّ الْكَذُّوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ

يقول: فَلَانُ صَاحِبٌ فَلَانٍ، هَذَا أَصْحَابُهُ الْكَذَّابُونَ، أَنْتَ أَنْتَ ثِقَّةٌ، لَكِنْ يَعْيبُونَكَ بِصُحْبَةِ الْكَذَّابِ؛ لِأَنَّهُ أَجْرَبُ فِيعْدِيكَ، (وَدَعَ الْكَذُّوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا): جَارُ: اللَّهُ يُعِينُ، اللَّهُ ابْتَلَاكَ بِهِ، لَكِنْ (صَاحِبٌ)؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ، وَ(شَيْخٌ)؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ وَمَصِيبَةٌ وَمَصِيبَةٌ، (فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ الْكَذُّوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ): لَيْش؟ لِأَنَّهُ لَيْئِمٌ، وَقَدِيمًا قَبِيلَ (صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ نَفْسُهُ يَقُولُ):

وَاحْدَرُ مُصَاحَبَةِ اللَّيِّيمِ فَإِنَّهُ^(٥٥) ... يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ

^{٥٥} __ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى منبها: "الشَّاهِدُ الْأَخِيرُ".

أَنْتَ صَاحِبُ وَهَذَا الْكَذَّابُ أَجْرَبُ؛ فَيَطِيرُ عَلَيْكَ مِنْ؟ مَنْ بَلَاءُ، فَكَيْفَ إِذَا أَخَذَتْهُ شَيْخًا لَكَ؟! هَذِهِ مَصِيبَةٌ، فَالْكَذَّابُ لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ، وَلَوْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ، لَوْ كَانَ أَيْشٌ؟ لَوْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ (أَكْثَرَ النَّاسِ رَوَايَةً)؛ لَا يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ، نَعَمْ.

وَالآنَ يُشَارُ إِلَى أَقْوَامٍ؛ هَذَا يُجْلَسُ عَلَيْهِ! وَهَذَا يُجْلَسُ إِلَيْهِ! وَهَذَا ارْجِعُوا إِلَيْهِ! وَهُوَ كَذَّابٌ!!!
وَأَكَاذِبُهُمْ مَسْمُوعَةٌ وَلَا مَطْبُوعَةٌ!

(٥٦) عَامَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ بِالضَّبْطِ؛ لَمَّا مُسِكَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ، وَخُنِقَ، وَضِيقٌ عَلَيْهِ الْخِنَاقُ، فَقَالَ: (يَا نَاسُ) بَعْدَمَا قَرَّرُوهُ، قَرَّرُوهُ، تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الشُّهُودُ فِي شَأْنِ أَنْكَرِهِ، فَضَمَّهُمْ مَجْلِسٌ، اصْطَلَكَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِيهِ، فَشَهِدَ هَذَا، وَشَهِدَ هَذَا، وَشَهِدَ هَذَا، قَالَ: (يَا نَاسُ، وَإِذَا كَذَبَ مَرَّةً؛ خَلَّاصٌ يَسْقُطُ؟!) (٥٧) خَلَّاصٌ، اعْتَرَفَ بِالْكَذِبِ.

فَالشَّاهِدُ: مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، الْكَذِبُ شَيْنٌ، الْكَذِبُ... وَاللَّهُ مَا يُنَجِّي صَاحِبَهُ إِلَّا الصِّدْقُ، وَلَوْ كَانَتْ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَمَا يُنَجِّيهِ بَعْدَ تَضَرُّعِهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الصِّدْقُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْلِيهِ بِهِ وَلَوْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي الصِّدْقِ تُعَامِلُ اللَّهَ، فَإِذَا عَامَلْتَهُ بِالصِّدْقِ عَظُمَ فِي قَلْبِكَ حَتَّى هَانَ النَّاسُ أَمَامَكَ، فَلَا يُهِمُّكَ أَنْ تَقُولَ بِالصِّدْقِ فِي وَجْهِ مَنْ يَنْتَقِدُكَ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ رَافِعُكَ، وَإِنْ كَانَ فِي وَقْتِكَ قَدْ تَظَنُّ أَنَّكَ يَخْفِضُكَ، وَأَعْظَمَ دَلِيلٍ عَلَى هَذَا عِنْدَنَا نَحْنُ مَوْقِفُ عَظِيمٍ مِنْ عَظِيمٍ أَمَامَ أَعْظَمِ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً؛ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ مَنْ؟ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ: لَوْ وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنَ الْمُلُوكِ لَرَأَيْتُ أَنِّي سَاحِرُجٌّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ يَقُولُ: إِنَّ أَنَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا وَأَنَا فِيهِ كَاذِبٌ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ

٥٦ _ هنا في الأصل: "حتى قبل".

٥٧ _ هكذا الظاهر.

سَيَفْضَحْنِي، فقال بالصدق، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، بعدما قَالَ اللَّهُ: {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} ^(٥٨) الآية، انظُرُوا يَا إِخْوَتِي الْكَرَامُ {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ} كُلُّ الْأَرْضِ رَأَوْهَا ضَيِّقَةً، وهكذا الإنسان إذا نَزَلَ بِهِ الْهَمُّ واشْتَدَّ بِهِ الْكَرْبُ وَعَظُمَ الْغَمُّ؛ يَرَى الْأَرْضَ كُلَّهَا ضَيِّقَةً عَلَيْهِ، كما قال الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ رَحِيْبَةٌ ^(٥٩) ... عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةٌ حَابِلِ

أَصْبَحَتْ ضَيِّقَةً عَلَيْهِ، فالصدق هو الذي يُنَجِّي صاحبه، والكذب هو الذي يُرْدِي صاحبه.

فاعلمُوا أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذَا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ أَنْ نُعَامِلَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِهِ، فإذا عَامَلْنَا اللَّهَ بِالصِّدْقِ أَظْهَرْنَا اللَّهَ رَغْمَ أَنْفٍ مَنْ يُعَادِي، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِلْجَمِيعِ، نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَرَجُلٌ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ.

[التَّعْلِيلُ]: يعني: مَا هُوَ اخْتِصَاصُهُ الْعِلْمُ، اخْتِصَاصُهُ الْعِبَادَةُ، شَأْنُهُ الْعِبَادَةُ، لَا يَدْرِي الْعِلْمَ،

نَعَمْ.

[الْمَتْنُ]: وَعَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ

وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ، فَأَمَّا الْعَالِمُ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ الْخَائِفُ لِلَّهِ الْعَالِمُ

بِسُنَّتِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَأَمَّا الْعَالِمُ بِاللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ الْخَائِفُ لِلَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِسُنَّتِهِ وَلَا

حُدُودِهِ وَلَا فَرَائِضِهِ.

^{٥٨} _ التوبة (١١٨).

^{٥٩} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى مفسراً: "يَعْنِي: وَاسِعَةً".

[التعليق]: يعني هذا: الأول هو العالم، والثاني هو العابد، يخاف الله، ويخشاه، ويتقيه، ولا يضيع الحدود، لكنه ليس بعالمٍ بم؟ بالسُّننِ والأحكامِ والفرائضِ، نعم.

[المتن]: **وَأَمَّا الْعَالَمُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ فَذَلِكَ الْعَالَمُ بِسُنَّتِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ لَهُ.**

[التعليق]: نعوذ بالله، هذا علمُ الفاجر، عياداً بالله من ذلك، يعلم ما حرم الله، ويعلم ما أوجب الله، ولكنه لا يقوم بهذا ولا يخاف الله جلَّ وعلاً، فنعوذ بالله من ذلك كله، نعم.

وهؤلاء هم الذين أخذ العلم فقط منهم المظهر، يتكلم، ويحدث، ويعظ، ويخطب؛ وهو أبعد ما يكون عن هذا الأمر وعن هذا النهي!!! مُرتكبٌ للنهي، مُضيعٌ للأمر، عياداً بالله من ذلك، عياداً بالله من ذلك، نعم، فصار علمه وبالا عليه، نسأل الله العافية، نعم.

[المتن]: **وَعَنْ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(٢٨) قَالَ: مَنْ خَشِيَ اللَّهَ فَهُوَ عَالِمٌ ^(٢٩)، وَرَوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ بِهِ} وَكَذَلِكَ فِي مُصَحِّفِهِ ^(٣٠).**

[التعليق]: الذين يخشون الله حق خشيته هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم ورثتهم وهم العلماء؛ لأنهم أعرَفُ الناسِ بما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلذلك أشاد الله بهم، وأعلى ذكرهم في كتابه العزيز (كما سمعناه بالأمس، ولا نُطيلُ بإعادته)، نعم.

^{٢٨} _ فاطر (٢٨).

^{٢٩} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "هذا هو، نعم، تقدّم معنا هذا بالأمس".

^{٣٠} _ هنا في الأصل: قال الشيخ حفظه الله تعالى: "الله أكبر، نعم".

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشِ النَّاسُ بِهِ

مَعَهُ، وَرَجُلٌ عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشِ هُوَ بِهِ، وَرَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ وَعَاشَ النَّاسُ بِهِ مَعَهُ.

[التَّعْلِيلُ]: هذا الذي اُنتَفَعَ بِالْعِلْمِ وَاُنتَفَعَ بِهِ النَّاسُ مَعَهُ، وَالْأَوَّلُ (عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ)؛ يَعْنِي:

اُنتَفَعُوا، (وَلَمْ يَعِشِ هُوَ بِهِ)؛ لَمْ يَنْتَفِعْ هُوَ بِهِ، (وَرَجُلٌ عَاشَ بِعِلْمِهِ): هُوَ اُنتَفَعَ بِهِ (وَلَمْ يَعِشِ النَّاسُ بِهِ مَعَهُ)؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْهُ النَّاسُ، وَلَمْ يَنْشُرْهُ فِيهِمْ، فَلَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ شَيْئًا، هَذَا هُوَ اُنتَفَعَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ النَّاسُ، هَذَا الْأَوَّلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا (الَّذِي عَاشَ بِعِلْمِهِ وَعَاشَ النَّاسُ مَعَهُ)؛ فَهَذَا الَّذِي عَلِمَ وَعَلَّمَ، وَاُنتَفَعَ وَنَفَعَ، وَالثَّالِثُ الَّذِي هُوَ بَيْنَهُمَا: (عَاشَ النَّاسُ بِعِلْمِهِ)؛ اُنتَفَعُوا بِهِ، وَلَكِنْ هُوَ (لَمْ يَعِشِ بِهِ) وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، فَهَذَا الَّذِي لَمْ يَتَرَيَنَّ بِالْعِلْمِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، نَعَمْ.

[الْمَنْنُ]: وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: الْفَقِيهَةُ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(٣٣)، وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ

مُوسَى رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يَجْلِسُ إِلَى الْعَالَمِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ يَأْخُذُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ لَا يَحْفَظُ شَيْئًا، وَهُوَ جَلِيسُ الْعَالَمِ، وَرَجُلٌ يَنْتَقِي وَهُوَ خَيْرُهُمْ.

[التَّعْلِيلُ]: وَهَذَا تَقَدَّمَ مَعَنَا فِي التَّحْدِيثِ، (يَأْخُذُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ): هَذَا مَا يُمَيِّزُ، مَا عِنْدَهُ نَقْدٌ، مَا

يَعْرِفُ، يَأْخُذُ الصَّحِيحَ وَالضَّعِيفَ، وَيَأْخُذُ الْمَقْبُولَ وَالْمَرْذُولَ، مَا يُمَيِّزُ، مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ، (وَرَجُلٌ لَا يَحْفَظُ شَيْئًا): مَا هُوَ عَالِمٌ، وَلَا طَالِبُ عِلْمٍ، لَكِنْ مُسْتَمِعٌ يَأْوِي إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، فَهَذَا هُوَ السَّامِعُ (الْجَلِيسُ)، وَالْعُلَمَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، مِثْلُ جُلُوسِ الْعَوَامِ، الْعَوَامُ الْكِبَارُ يَجْلِسُونَ فِي حِلَقِ الْعِلْمِ، لَا يَكْتُبُ، لَا يَقْرَأُ، لَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، لَكِنْ يَحْفَظُ شَيْئًا، يَفْهَمُ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ إِلَّا بِبَرَكَهٍ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْرَ، فَيَأْوِي إِلَيْهِمْ، فَهَمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، وَيُغْفَرُ لَهُ مَعَهُمْ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَكَهَةِ عَلَيْهِ، أَمَّا الثَّالِثُ فَهَذَا الَّذِي (يَنْتَقِي وَهُوَ خَيْرُهُمْ): يَسْمَعُ وَيُمَيِّزُ فَيَأْخُذُ الصَّحِيحَ وَالْحَسَنَ فَيُرْوِيهِ

^{٣٣} _ هَذَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "تَقَدَّمَ مَعَنَا، نَعَمْ".

وَأَحْسَنَ مَا يَسْمَعُ، يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ يُفْتَشُّ، ثُمَّ يُحَدِّثُ بِأَحْسَنِ مَا سَمِعَ، فِهَذَا هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ خَيْرُ
الثَّلَاثَةِ، نَعَمْ.

[الْمَنْتَنُ]: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِذَا كَانَ عِلْمُ الرَّجُلِ حِجَارِيًّا، وَخُلُقُهُ عِرَاقِيًّا، وَطَاعَتُهُ شَامِيَّةً يَعْنِي أَنَّهُ

الرَّجُلُ.

[التَّعْلِيلُ]: يَعْنِي: جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأُمُورِ، الْعِبَادَةِ انْتَشَرَتْ هُنَا، وَحُسْنُ الْأَخْلَاقِ وَالرِّقَّةُ
انْتَشَرَتْ هُنَا، وَالْعِلْمُ وَبَثُّ السُّنَّةِ انْتَشَرَتْ هُنَا؛ هَذَا الْمَقْصُودُ بِهِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ الْأَوَّلِينَ مَا عَنْدَهُمْ
أَخْلَاقٌ، وَلَا أَنَّ الثَّانِيَةَ مَا عَنْدَهُمْ عِلْمٌ، وَلَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ عَنْدَهُ عِبَادَةٌ، وَلَا عَنْدَهُ خُلُقٌ وَلَا عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا اشْتَهَرَ
فِي كَذَا... فَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِلْمُ وَالْخُلُقُ وَالْأَدَبُ وَالْعِبَادَةُ؛ فِهَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ: (الرَّجُلُ)، نَعَمْ.

[الْمَنْتَنُ]: وَعَنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يَجْلِسُ إِلَى الْعَالَمِ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ يَكْتُبُ كُلُّ مَا يَسْمَعُ فَذَلِكَ

كَحَاطِبٍ لَيْلٍ^(٦٤)، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ فَقَهُ الرَّجُلِ حِجَارِيًّا، وَأَدَبُهُ عِرَاقِيًّا فَقَدْ كَمَلَ، إِلَى هُنَا
انْتَهَى حَدِيثُهُ لَمْ يَقُلْ: وَطَاعَتُهُ شَامِيَّةً.

[التَّعْلِيلُ]: وَالْمَرَادُ بِهَذَا (كَمَا قُلْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ): اجْتِمَاعُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَيَكُونُ مَعَ الْفَقْهِ الْأَدَبُ
وَالْأَخْلَاقُ؛ فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ تَزِينُهُ الْأَخْلَاقُ، فَهُوَ الثَّمَرَةُ الَّتِي تَكُونُ جَنِيَّةً شَهِيَّةً وَتُقْطَفُ، لَكِنَّهَا إِذَا لَمْ تَوْضَعْ
فِي إِنَاءٍ طَيِّبٍ نَظِيفٍ كَرِهَتْهَا النُّفُوسُ، وَالْإِنَاءُ الطَّيِّبُ النَّظِيفُ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يُلْقِيهَا عَلَى النَّاسِ وَيُعَلِّمُهَا
النَّاسَ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ خُلُقٍ وَدِينٍ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ _فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
ذَلِكَ_؛ يُدْبِرُ النَّاسُ عَنْهُ، فَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِمَّا عَنْدَهُ، وَيَزْهَدُونَ فِي مَا عَنْدَهُ؛ لِأَجْلِ مَا عَنْدَهُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ،
نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

^{٦٤} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: قَالَ الشَّيْخُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ، نَعَمْ".

واعلموا رحماني الله وإياكم أننا جميعاً وإياكم لا نزال بخير ما آتانا العلم من قبل المشايخ، ولم يكن العلم الذي نحصله من قبل الأحداث؛ لأن الشيخ كما قال ابن قتيبة _ونعرف هذا جميعاً_ في أحد تفسيراته للأصغر، الشيخ زالت عنه متعة الشباب، وذهبت عنه حديثه، وذهبت عنه أيضاً عجلته وطيشه، وأيضاً مع طول العمر والممارسة للعلم استصحب التجربة، واكتسب الخبرة، فلا يدخل عليه (على المشايخ الكبار في السن والمتقدمين في العلم) لا يدخل عليهم في علمهم من الشبه والضعف من الأقاويل ما يدخل على الحدث، ولا يغلب عليهم الهوى؛ لأنهم قد وطئوا أنفسهم، ودربوا أنفسهم، وروضوا أنفسهم على الأخذ بالسنن، وعركتهم الدنيا، وصبروا أمام المحن والفتن، فلا يغلب عليهم الهوى، ولا يميل بهم الطمع أيضاً، وأيضاً مع هذا لا يستزلهم الشيطان كما يستزل الحدث الناشئ الصاعد البازغ، فلا يستزلهم الشيطان استزالال الحدث؛ لأن هؤلاء قد ركعوا وقد وطئوا أنفسهم، تقدم بهم السن، ووطأهم العلم، وهم يرون أنهم إلى الآخرة أقرب منهم إلى الدنيا، فتجدهم مجتهدين فيما يصلح ما بينهم وبين الله جلّ وعلاً، وكأنهم الآن يموتون، فتجد الصلاح عليهم أعظم وأكثر وأظهر، فتجد مع سنهم هذا المتقدم ومعالجتهم لأنفسهم ومجاهدتهم لها هذه التي ذكرنا؛ تجد يظهر عليهم الوقار، وإذا ظهر عليهم الوقار بدت الجلالة، وإذا بدا الوقار والجلالة اكتسبوا في قلوب الناس الهيبة، الهيبة التي بسبب المحبة لهم.

وأما الحدث الذي يطلع الآن! فهذه الأمور كلها تدخل عليه كما قال ابن قتيبة وغيره رحمهم الله. فلهذا أوصي نفسي وإخوتي جميعاً بأن نراعي في هذا الباب من نأخذ عنه؛ لأن هذا العلم دين، فينظر ممن يؤخذ الدين، فلا يؤخذ الدين عن المتهوِّك، ولا عن الكذاب، ولا عن السفيف المعلن بسفاهه، ولا عن الحدث؛ فإن الناس لا يزالون بخير ما جاءهم العلم من قبل كبارهم، فإذا جاءهم من قبل صغارهم هلكوا، نسأل الله العافية والسلامة.

هَذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَسْتَمِيحُكُمْ اللَّيْلَةَ لِأَنِّي زِدْتُ عَلَيْكُمْ عَشْرِينَ دَقِيقَةً عَنْ وَقْتِ
الْبَارِحَةِ (تَقْرِيْبًا)، وَالْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا أَلَّا نَجْعَلَ مَجْلِسًا ثَالِثًا فِي هَذَا الْبَابِ، إِذْ حَقُّهُ هَذَانِ الْمَجْلِسَانِ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُؤَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ
وَالْبَصِيرَةِ فِيهِ، وَالتَّوْبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَكُمْ وَأَحْوَالَ
إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ حُكَامًا وَمَحْكُومِينَ، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مَا نَزَلَ بِهَا مِنَ الضَّرِّ
وَالشَّدَّةِ وَاللَّوَاءِ، وَأَنْ يُحِلَّ مَحَلَّ ذَلِكَ كُلِّهِ الْخَيْرَ وَالسَّعَةَ وَالْبَرَكَاتِ، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٦٥).

^{٦٥} مَا كَانَ مِنْ خَطَا فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يُلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.